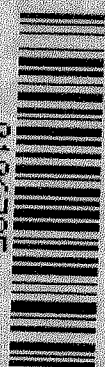


المعشرون ساجد

تأليف
محمد صالح عوض

الإجابة العالية في الحديث الشريف

مؤسسة المنحدر
للنشر والتوزيع - القاهرة



0106795



Bibliotheca Alexandrina

العشرة المبشرون بالجنة

تأليف
محمد صالح عَوْض
الإجازة العالية في الحديث الشريف

الهيئة العامة	
رقم الترخيص	294.543
رقم التسجيل	٢٩٦٧٩٩

مؤسسة المحيتر
للنشر والتوزيع - القاهرة

مؤسسة المختار

للنشر والتوزيع - القاهرة

٦٥ شارع النهضة - مصر الجديدة

تليفون وفاكس: ٢٩٠١٥٨٣

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع: ١٣٩٩٢ لسنة ١٩٩٨

الترقيم الدولي: 977-5283-30-2

إهداء

- إلى روح والدى الطاهرة ..
- إلى والدتي الغالية أمد الله في عمرها ..
- إلى أخى الأكبر فضيلة الشيخ رجب محمد صالح الواعظ بالأزهر الشريف .
- إلى أساتذتي الذين أمدوا إلى يد العون والمساعدة ..
- إلى المربين الفضلاء في كل زمان .. ومكان .. وميدان .
- إلى الباحثين عن قدوة .. وإلى المشتاقين إلى مثل أعلى .
- إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أقدم كتابي العشرة المبشرون بالجنة .

المؤلف

محمد محمد صالح عوض

الإجازة العالية في الحديث الشريف وعلومه

جامعة الأزهر

مصر - المنصورة - بساط - طلخا

ت: ٥٢٤٩٥٦ - ٥٢٤٩٩٦ / ٥٥٠

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .. وبعد فيقول الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

إنها لصورة عجيبة حقاً يرسمها القرآن بأسلوبه البديع .. صورة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات ذلك الجيل المختار (٢) .

ذلك الجيل المثالي الذي حقق مستوى سامقاً في الارتقاء الروحي والخلقي فصقلته العبادة وكساه الركوع نوراً وبهاء .. ذلك الجيل الذي خلده كتب السماء فوصفته التوراة والإنجيل والقرآن بهذا الوصف الرائع .. ذلك الجيل الموصوف بالخيرية والأفضلية المطلقة على سائر الأجيال (٣) كما قال النبي ﷺ (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم .. ثم الذين يلونهم .. ثم يجي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) (٤) وهذه الخيرية تجعل من جيل الصحابة مثلاً غالياً للمسلمين في كل زمان ومكان ، فهم يتطلعون إليهم ويعتزون بهم ، ويقتدون بأعمالهم ، ويسترشدون بسيرهم فلقد صاروا رموزاً شاخخة ، وأعلاماً هادية ، وقدوات سامقة تتطلع أجيال المسلمين إليهم بكل فخر واعتزاز وتمجيد وتقدير .. وما أحسن وصف ابن مسعود - رضي الله عنه - لأبناء جيله من الصحابة حين قال : (من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ،

(١) سورة الفتح الآية ٢٩ .

(٢) الظلال للشهيد سيد قطب ٦ / ٣٣٣١ .

(٣) السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم ضياء العمرى ٢ / ٦٥٩ .

(٤) الحديث : أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل الصحابة ٦٢ رقم ٣٦٥١ واللفظ له ، مسلم في

الصحيح رقم ٢٥٣٥ .

وأحسنها حالاً قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم^(١) . هـ .

يقول ألكسس كاريل^(٢) : « وتشعر الجماهير بالآلم حين لا تجد أحداً تعجب به ومن حسن الحظ أن المجتمع لا يتكون من الأحياء وحدهم فعظماء الموتى لا يزالون يحيون بيننا !! » . هـ .
من هؤلاء العظماء « العشرة المبشرون بالجنة » ، عن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال : (أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلى في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ، وأبو عبيدة في الجنة)^(٣) .

قال الشاعر :

للمصطفى خير صحب نص أنهم في جنة الخلد نصاً زادهم شرفاً
هم طلحة وابن عوف والزبير مع أبى عبيدة والسعدان والخلفاء^(٤)

ولقد ثبتت البشارة لجملة من أصحابه ﷺ . كأهل بدر ، والحديبية ، وبلال وعكاشة وغيرهم .. بيد أن هؤلاء العشرة جاءت البشارة لهم جميعاً في موطن واحد وهو الحديث السابق ذكره .

ولنا أن نتساءل ما الذى تفاضل به هؤلاء حتى بُشروا بالجنة ، وماذا كانت أعمالهم حتى استحقوا البشارة ؟ وهل باستطاعتنا أن نحذو حذوهم فنكون مثلهم ؟
« لقد كانوا بشراً .. لم يتجردوا عن بشريتهم ومشاعرهم وسيئاتهم الإنسانية والعواطف البشرية لم تمت في تلك النفوس ، ولكنها ارتفعت وصفت من الأوشاب ، ثم بقيت لها طبيعتها الحلوة ، ولم تعوق هذه النفوس عن الارتفاع إلى أقصى درجات الكمال المقدر للإنسان »^(٥) .

(١) السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم ضياء العمرى ٦٦٩ / ٢ .

(٢) ألكسس كاريل : طبيب فرنسى الأصل عاش في أمريكا وحصل على جائزة نوبل في العلوم وله كتاب شهير بعنوان « الإنسان ذلك المجهول » .

(٣) الحديث في صحيح سنن الترمذى برقم ٢٩٤٦ ، وهو في مسند أحمد برقم ١٦٧٥ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٤) المقصود سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد والخلفاء الأربعة أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على ، رضى الله عنهم .

(٥) الظلال ٥ / ٢٨٤٤ .

« وكان العلماء قديماً وحديثاً يوجهون النشء إلى النظر في سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه الغر الميامين ، لينشأوا على حب البطولة والأبطال ، وليتأسوا بخلق أصحاب الشجاعة والمروءة والكرم والصدق والعفاف ، وقد نبّه القرآن الكريم إلى ضرورة تحقيق هذا المنهج في الاقتداء بالصالحين فقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾^(١) ، والإقتداء بالرسول ﷺ شامل لمنهجه في مطالب الدين والدنيا لأنه لا ينطق عن الهوى .. أما الإقتداء بالصالحين فيكون في الجانب الذي تميزوا به مما يتطابق مع أحكام الشرع ومقاصده فيستفاد من تطبيقهم ذلك في حياتهم لتوضيح المعنى وإبراز موضع القدوة^(٢) .

وحين عنّ لي الكتابة في هذا الموضوع - العشرة المبشرون بالجنة - بدّأ لي أن الأمر سهل .. يَبْدُ أننى حينما تهيأت للكتابة وجدت أن الموضوع من الصعوبة بمكان لم له من المهابة والجلال !!

فحين يتعلق الأمر بالحديث عن أصحاب رسول الله ﷺ - وبخاصة الخلفاء الأربعة - فإنه يجب توخى الدقة والحذر حتى لا تزلّ القدم !!

وقد ظللت أقدمُ قدماً وأؤخر أخرى واضعاً نصب عيني قول النبي ﷺ - (الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً بعدى ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم ، فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)^(٣) . ومن حبي لصحابة رسول الله ﷺ - أقدمت على الكتابة .. ولا أخالني وفيث الموضوع حقه ، فما هي إلا محاولة متواضعة نتعرف فيها سويّاً على هذا الجيل الفريد ، نحاول إبراز صفاتهم المميزة ومقوماتهم الخاصة .. فها هم أولاء مثلاً حية واقعية للجماعة التي يريدتها الإسلام فنحن في حاجة ملحة حقاً للتعرف على هذه الصفوة المختارة - العشرة المبشرون بالجنة - لاسيما ونحن في زمن قد افتقدت فيه القدوة !!

(١) سورة الأنعام ، الآية ٩٠ .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم ضياء العمرى ٦٧٧ / ٢ .

(٣) أحمد في المسند ٢٠٤٢٨ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده حسن .

يقول الأستاذ/ محمد العبدية : « عندما يُقَلُّ الرجال يتطلع الناس إلى الماضي ليعيشوا مع أولئك الرجال العظام الذين أدوا خدمات جليلة للأمة بحكمتهم ومواقفهم الشجاعة .. لأن الناس لابد لهم من قدوة » ا. هـ .

وما أجمل أن يكون العشرة المبشرون بالجنة لنا قدوة !

أُولَئِكَ أَبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ !

فمن الله وحده أستمد العون على ما بدأت ، ورحم الله امرئ اطلع على كتابي هذا فوجد خطأ علمياً بدون قصد فأهداه إليّ ، وأرشدني إليه ودلني عليه ، ولا أزعج لنفسي العصمة من الزلل ، ولا الكمال الذي لا يداخله خلل ، فهذا هو جهد المقل ، فهو مهما بلغ جهد بشري ، وكل كتابات البشر وأقوالهم لا تخلو من النقص والعيور ، وعرضة دائماً لإعادة النظر ، فكما قال العباد الأصبهاني : (رأيت أنه لا يكتب إنسان ما كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، ودليل على إستعلاء النقص على جميع البشر !) .

أسأل المولى سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وألا يجعل للشيطان فيه حظاً ولا نصيباً ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الدين .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد محمد صالح عوض

الإجازة العالية في الحديث الشريف وعلومه

جامعة الأزهر

وكان الفراغ من كتابته في ليلة الإثنين

الموافق ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٨ هـ ١٤/٨/١٩٩٧ م

(١)

أبو بكر الصديق

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

● اسمه ونسبه ●

هو عبد الله بن أبي قحافة .. عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن ' بن كعب .. يلتقى مع النبي ﷺ - في مرة^(١) .

● كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وكنيته أبو بكر ولقبه عتيق - لُقِبَ به لجمال وجهه وقيل إن رسول الله ﷺ قال أنه عتيق من النار .. ف عائشة - رضى الله عنها - (أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فقال له أنت عتيق من النار فسمى يومئذ عتيقاً)^(٢) .

● وقيل : سُمي عتيقاً لعناقة وجهه - أى حسنه وجماله وقيل : إنه لم يكن في نسبه شيء يعاب عليه .

● وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ ولا الصدق، فعن أنس -رضى الله عنه- قال: (صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعشرون وعلى فرجف بهم ، فضربه برجله وقال : أثبت أحد ، فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان)^(٣) قال أبو محجن الثقفي عن تسميته بالصديق :

وسُميت صديقاً وكلُّ مُهاجرٍ سواك يُسمى باسمه مُنكرٍ
سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليساً في العريش المطهر

ولد أبو بكر بعد مولد النبي ﷺ بستين وستة أشهر ، وكانت نشأته بمكة لا يخرج منها للتجارة^(٤) .

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - رجلاً أبيضاً ؛ نحيفاً ، خفيف العارضين ، أجناً - أى في ظهره انحناء يسير - لا يستمسك إزاره ، معروق الوجه - أى لحم وجهه قليل - غائر العينين ، ناتر الجبهة وكان يُخَضَّب شبيه بالحناء والكتم^(٥) .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٣ . (٢) صحيح سنن الترمذي ٢٩٠٤ .

(٣) صحيح البخاري ٣٦٧٥ .

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٠٦ / ٣ ، وانظر الإصابة ١٥٧ / ٦ .

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٩ ، والكتم نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر .

وصفه السمعاني فقال : « كان أبو بكر رجلاً مُؤلفاً ، ومُحبّاً سهلاً ، وكان تاجراً ميسور ذا خلق كريم ، وصاحب معروف ، وكانوا يالفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته » (١) .

● إسلامه ●

كان أبو بكر - رضي الله عنه - من رؤساء قريش في الجاهلية ، محبوباً فيهم ، فلما جاء الإسلام سبق إليه . عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : (قال أبو بكر : أأست أحق الناس بها ؟ - يقصد الخلافة - أأست أول من أسلم ؟ أأست صاحب كذا ؟ أأست صاحب كذا ؟) (٢) .

سأل الشعبي ابن عباس - رضي الله عنهما - : أيُّ الناس كان أول إسلاماً ؟
قال أبو بكر الصديق : ألم تسمع قول حسان بن ثابت حين قال في حق أبي بكر :
إذا تذكرت شجوراً من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية وأتقاهها وأعد لها إلا النبى ، وأوفاهها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده وأول الناس صدّق الرسلاً (٣)

● وعن عبد الرحمن بن همام قال : سمعت عمارة يقول : (رأيت رسول الله ومأمعه إلا خمسة عبيد وامرأتان وأبو بكر) (٤) .

قال الحافظ بن حجر في الفتح (٧ / ٢٩) : (..... وفي الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقاً) ١. هـ .

« أسلم أبو بكر ... وحيث كان الغيب يُجرى أعظم عملية تفجير تاريخي . كان كل ما للإسلام من مستقبل وحضارة ، وإتساع يغادر تلك اللحظة ويأخذ كل شيء مكانه على أرض الغد الطويل .. أجل ، وحيث ، وفي تلك اللحظة التي شهدت يداً تصافح ، وقلوباً يبايع ، كانت نفس هذه اللحظة ، تتفجر وتخرج خبثها المهل ، كانت تلد زماناً بأسره .. بأجياله .. بمعجزاته وانتصاراته ، لأن صوت اليقين في قلوبهما كان أعلى من كل صوت عداه .. وهكذا

(١) وفيات الأعيان ٦ / ١٥٧ .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٨٩٨ .

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣ / ٢٠٩ .

(٤) صحيح البخارى ٣٣٦٠ .

أسلم أبو بكر في هدوء ، و يقين ، وقوة .. وسيظل حاملاً رأيته في هدوء ، و يقين ، وقوة .. أسلم الرجل الذي اصطفاه الله ليكون لرسوله الصديق ، وثاني إثنين ، وغداً يكون الخليفة .. أسلم الرجل الذي وإن لم يكن نبياً ، إلا أنه سيكمل دور النبي .. أسلم ولم يتلعثم عند السانحة الأولى ، بل كان كأنه على موعد من الدين الجديد ، فسارع إليه مساعة الظامىء المشتاق^(١) .

● من مناقبه ●

وأما عن مناقب الصديق فهي أشهر من أن تذكر ، وأكبر من أن تحصر . فقد اتفقت الأمة على أنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ . فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : (كنا نخير بين الناس في زمن النبي فتخير أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان - رضى الله عنهم)^(٢) .
ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى فيه : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .
فإن المراد بصاحبه أبو بكر - رضى الله عنه .

وقد ثبت في الصحيح من حديث أنس - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وهما في الغار : (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)^(٣) فلم يشركه في هذه المنقبة غيره . ومن مناقبه أن النبي ﷺ قد اختصه بإثبات أهلية الخلة فقال : (إنه ليس أحد أمنّ علىّ في نفسه وماله من أبي بكر .. ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل)^(٤) وأخبر النبي ﷺ أنه أحب الرجال إليه . فعن عمرو بن العاص - رضى الله عليه - أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، قال : (فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قال : فقلت : من الرجال ؟ قال أبوها . قلت : ثم من ؟ قال : عمر بن الخطاب فعداً رجلاً)^(٥) .

(١) خلفاء الرسول ٥٥ .

(٢) صحيح البخارى ٢٦٩٧ .

(٣) صحيح البخارى ٣٦٥٣ .

(٤) صحيح البخارى ٣٦٥٦ .

(٥) صحيح البخارى ٣٦٢ .

ومن مناقبه أنه شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يقضى في مال أبي بكر كما يقضى في مال نفسه. وقد بين الرسول مدى إفادة الإسلام من ذلك فقال : (ما نفعتني مال قط ما نفعتني مال أبي بكر)^(١).

ومن مناقبه أنه كان موضع مشورة النبي ﷺ وقد صاهره بأن تزوج من ابنته عائشة . وهو أول من جمع القرآن وسماه مصحفًا ، وهو أول خليفة في الإسلام وأول من أقام للناس حجهم بعد رسول الله ﷺ. ومن مناقبه السبق إلى أنواع الخير ، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : فمن تبع اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً : قال أبو بكر : أنا ، فقال ﷺ : ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)^(٢)، ومن مناقبه مناظرته للصحابة في حديث أهل الردة قال أبو عطاء العطاردي : (دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلاً يُقبلُ رأس رجل ويقول : أنا فداء لك ، لولا أنت هلكننا .. قال أبو عطاء فقلت : من المُقبل ؟ ومن المُقبل ؟ قالوا : ذاك عمر يُقبل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين)^(٣) ، ومن مناقبه أنه يُدعى من أبواب الجنة .. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان . فقال أبو بكر : ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة . وقال هل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر)^(٤).

● ومن مناقبه قوله تعالى: ﴿ سَجَنُهَا الْأَثْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ [الليل : ١٧ : ١٨]

قال ابن الجوزي : أجمعوا على أن هذه الآية نزلت في أبي بكر .

(١) صحيح سنن الترمذي ٢٨٩٤ .

(٢) صحيح مسلم ١٠٢٨ .

(٣) صفة الصفوة ١ / ٧٧ .

(٤) صحيح البخاري ٣٦٦٦ .

قال عنه أبو نعيم في الحلية^(١): (... أبو بكر الصديق ، السابق إلى التصديق الملقب بالعتيق، المؤيد من الله بالتوفيق ، صاحب النبی في الخضر والأسفار ، ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار ، وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار ، المخصوص بمفخر فاق به كافة الأخيار وعامة الأبرار ، وبقي له شرفه على مرور الأعصار ولم يسم إلى ذروته هم أولوا الأيدي والأبصار ...) .

والحاصل أن مناقبه - رضى الله عنه - كثيرة جدًا - كما رأينا - وقد أفردته جماعة بالتصنيف وله في تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة قدر مجلد كامل^(٢) .

● حلمه وتواضعه ●

(لقد كان .. - رضى الله عنه - حليماً .. بسيطاً متواضعاً ، وكانت بساطته أهم عناصر عظمته وكان قبل أن يصير خليفة يقدم لأهل الحى الذى يسكنه خدمة تناهت في الطرافة والروعة !! قال علماء السير .. كان أبو بكر - رضى الله عنه - يجلب للحى الذى يسكن فيه أغنام بعض الأرامل والعجائز اللاتى فقدن أزواجهن .. ولما بويح بالخلافة قالت جارية من الحى : الآن لن يجلب لنا أغنام دارنا ، فسمعها فقال : بلى لأحلبنها لكم .. وإنى لأرجو ألا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه !!

وكما يقول صاحب كتاب خلفاء الرسول ... ولم تغير الخلافة من جوهر نفسه أو من أسلوب حياته .. فلم ينس تواضعه وفضائله في زحمة انتصاراته .. ولم يعيش خليفة فوق الناس بل ظل واحداً بين الناس ، وها هو الآن .. ينقل خطاه في وجلٍ وحياء ، مُيمماً وجهه شطر منبر رسول الله ﷺ ، هذا المنبر الذى طالما نادى النبی المسلمين من فوقه ودعاهم إلى الهدى ودين الحق .. ها هو أبو بكر يصعد لأول مرة ، بعد أن غاب عنه فيصليه وربانه وإنه ليصعد درجتين ثم يجلس ، فهو لا يبيع لنفسه أن يصعد كل الدرج وكل المرتقى .. لا يبيع لنفسه أن يجلس حيث كان الرسول يجلس !! وها هو يستقبل الجمع الحاشد ويتلوا عليه موثقه وعهده^(٣) .

(١) ٢٨ / ١ .

(٢) راجع إن شئت المجلد رقم ٣٠ من تاريخ دمشق .

(٣) خلفاء الرسول ٧٠ بتصرف يسير .

أيها الناس : إني وليت عليكم ولست بخيركم !! ولست بخيركم يا له متواضع .. !!
 وكان من شدة تواضعه يتعهد عجوزاً كبيرةً عمياء بالرعاية والخدمة ويقوم بأمرها . فعن
 أبي صالح الغفاري (أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً كبيرةً عمياء في بعض حواشي
 المدينة من الليل فيسقى لها ، ويقوم بأمرها ، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح
 ما أرادت فجاءها غير مرة كيلاً يُسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها وهو
 يومئذ خليفة للمسلمين ، فقال عمر : أنت هو لعمرى (١) .

● ورعه ●

لقد كان -رضي الله عنه- ورعاً بما تحمله هذه الكلمة من معانٍ . فعن زيد بن أرقم قال :
 (كان لأبي بكر غلام يأتيه بحاجته ، فأثاء ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له الغلام :
 مالك ، كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟ فقال أبو بكر : حملني على ذلك الجوع ، من
 أين جئت به ؟ قال : مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدونى فلما أن جاء اليوم مررت بهم
 فإذا عرس لهم فأعطوني . فقال : أف لك كدت تهلكني ، فأدخل يده في حلقة وجعل يتقيأ ،
 وجعلت بقية لا تخرج ففيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل اللقمة ؟ فقال : لو لم تخرج إلا مع
 نفسي لأخرجتها (٢) .

● زهده ●

ولقد كان -رضي الله عنه- زاهداً في الدنيا فلم تُرده الدنيا ولم يُرد هو الدنيا.. قال
 معاوية : إن الدنيا لم ترد أبا بكر ولم يردها وأرادت عمر ولم يردها . وعن هشام بن عروة عن أبيه
 عن عائشة قالت : (مات أبو بكر فما ترك ديناراً ولا درهماً . وكان قد أخذ قبل ذلك ماله
 فألقاه في بيت مال المسلمين (٣) . وعن عبد الله مولى الزبير بن العوام قال : (لما احتضر أبو
 بكر تمثلت عائشة بهذا البيت :

أعازل ما يُغنى الحِذار عن الفتى إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر !!

(١) تاريخ دمشق ٣٠ / ٣٢٢ .

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢٣٠ .

(٣) أحمد في الزهد ١٣٧ .

فقال أبو بكر: ليس كذلك يا بني، ولكن قولي ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

ثم قال: (انظري إلى ثوبى هذين فاغسلوهما ثم كفنوني فيهما فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت) (١).

● خلافته ●

(على إثر وفاة الرسول ﷺ). اجتمع نفر كبير من الأنصار في سقيفة بنى ساعدة، ليلابعوا سعد بن عباد.. وعلم أبو بكر، فذهب إلى السقيفة ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح.. لم يسارع أبو بكر ليحتجز الخلافة لنفسه، وإنما سارع ليكشف الفتنة أولاً، ثم ليكبح جماح الطائفة ثانياً، حيث وقف من يقول: يا للأنصار.. ومن يقول يا للمهاجرين.. ثم ليسلك مع المسلمين الطريق الأمثل لاختيار الخليفة الذى يستطيع أن يملأ الفراغ الرهيب الذى كان يملؤه رسول الله ﷺ.

واجه أبو بكر الجمع المحتشد فى أناة.. وكانت ثمة كلمات تتطاير كالرصاص المقدوف!! كان ناس من الأنصار يحرضون الأنصار على التشبث بالخلافة بأسلوب حاد ولاهب.. وكان هناك مهاجرون يرفعون أصواتهم الزاجرة ضد رغبة ذلك النفر من الأنصار.. فلقد فقد الناس أكثر صوابهم بموت رسول الله ﷺ، فلما أداروا خواطرهم حول موضوع الخلافة وهم فى جو الكارثة لا يزالون، اضطربت الأمور فى أيديهم، واتسع نطاق البلبلة والاهتياج.. وعندئذ هم عمر ليتكلم، فأسكته أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال فى كلامه نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً فبايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده وبايعه الناس (٢).

يقول عمر: (فوالله ما وجدنا أمراً أوفق من مبايعة أبى بكر، خشينا إن نحن تركنا القوم ولم تكن بيعة أن يُحدّثوا بيعة بعدنا فيما بايعناهم على ما نرضى، وإما أخلفناهم فيكون فساداً) (٣).

(١) أحمد فى الزهد ١٣٧.

(٢) البخارى ٣٦٦٨، وانظر خلفاء الرسول ٧٣.

ولما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن الله قد جمع أمركم على خيركم ، وصاحب رسول الله ، وثاني إثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة . فقد كانت بيعة السقيفة بيعة الخاصة .

وخطب الصديق خطبة في الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

(إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، الضعيف فيكم قوى عندي حتى أخذ له حقه ، والقوى ضعيف عند حتى أخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع قومًا الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ...) .

وقال أيضًا : والله ما كنت حريصًا على الإمارة ، ولا سألتها . في سر ولا علانية ، ولكنني أشفقت من الفتنة ، وما لي في الإمارة من راحة ، ولقد قلدت أمرًا عظيمًا ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوى الله) .

● أحداث في خلافته ●

١ - إنفاذ بعث أسامة :

ما إن استقر الأمر لأبي بكر - رضي الله عنه - حتى بدأ فسير جيش أسامة الذي كان قد أقام بمكان قرب المدينة يقال له (ذو خشب) ولما بلغ أسامة مرض النبي ﷺ ، وكان قد أعدّ هذا الجيش بأمر رسول الله قبل وفاته ، ولكن ما حدث عقب وفاة الرسول من ارتداد بعض القبائل وقاتل مانعي الزكاة جعلت الآراء والأصوات تتعالى بالقول :

إن حماية المدينة الآن أصبح ضروريًا لضرب النفاق فكان بعض الصحابة على هذا الرأي ، ووسطوا عمر عند الصديق حتى يأخذ بهذا الرأي ، وإذا بعمر يفاجأ برِدٍ عنيف من أبي بكر وقد وثب من مجلسه وأخذ بلحية عمر وهو يقول له : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب !! .
والذي لا إله إلا الله لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددت جيشًا وجهه رسول الله ، ولا حللت لواءً عقده ، ووجه أسامة^(١) .

(١) انظر فقه السيرة للدكتور البوطي .

وخرج الصديق يودع الجيش ، وعلى رأسه أسامة ماشيًا ، ولما أراد أسامة أن ينزل ليركب أبو بكر قال له : والله لا نزلت ولا ركبت .. ثم قال الصديق لأسامة : إن رأيت أن تأذن لعمر بالمقام عندي حتى أستعين برأيه على أمور المسلمين . فقال له أسامة : الأمر بيدك .. ثم سار أسامة فكان لا يمر بقبيلة انتشر فيها الارتداد إلا أرجعها ، ولما وصل إلى بلاد الروم قاتلوهم ونصرهم الله عليهم ثم عادوا ظافرين^(١) .

٢ - قتال أهل الردة :

لما اشتهرت وفاة النبي ﷺ ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام .. ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر لقتالهم ، فأشار عليه عمر وغيره أن يكف عن قتالهم فقال : والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى النبي ﷺ لقاتلتهم عليه ، فقال عمر :

كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . فمن قالها عصم ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله)^(٢) ، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . قال عمر : (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)^(٣) .

وجهز أبو بكر الجيوش لقتال أهل الردة ، ومانعى الزكاة ، وعقد أحد عشر لواءً ، وأمر صاحب كل لواء بالتوجه إلى جهة ، وتوجه هو على رأس لواء إلى مكان يسمى (ذى القصة) ولكن عليًا أصر عليه وناشده أن يرجع ، وقال له وقد أمسك بزمام راحلته :

لَمْ سَيْفِكَ وَأَمْتَعْنَا بِنَفْسِكَ ، فوالله لئن نكب المسلمون بك . لن تقوم لهم قائمة بعدك .. فعاد أبو بكر وكلف باللواء غيره^(٤) .

وقد أيد الله المسلمين ، وانقطع دابر الارتداد ، واستقر الإسلام في أنحاء الجزيرة ، وخضعت القبائل لدفع الزكاة .

٣ - جمع القرآن :

بعد أن انتهت حروب الردة جاءت الأنباء بأن عددًا كبيرًا من قراء القرآن قد قتلوا . فعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : (أرسل إلى أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة ، فإذا

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٣٠٤ بتصرف وانظر فقه السيرة للدكتور البوطي .

(٢) صحيح البخاري ١٣٩٩ .

(٣) متفق عليه ، وانظر اللؤلؤ والمرجان رقم الحديث ١٣ .

(٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٠٦ .

عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر - رضي الله عنه - إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استَحَرَّ يوم اليمامة بقرء القرآن ، وإنني أخشى إن استَحَرَّ القتل بالقرء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفع شئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يُراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجلٌ شاب عاقل لا يتهمُّك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله - ﷺ - فَتَتَّبِع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن . قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله - ﷺ - ؟ قال : هو والله خير . ولم يزل أبو بكر يُراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فَتَتَّبِع القرآن أجمعه من العُسب واللِّخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصارى لم أجدُها مع أحدٍ غيره ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ (١) حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه (٢) .

٤ - فتح العراق :

ولقد جهَّز الصديق خالدٌ إلى العراق ، وبعث معه المثني بن حارثة الشيباني ، ولقد نقل المثني بن حارثة المعارك إلى أطراف العراق لمطاردة الفرس الذين ساعدوا المرتدين في معارك البحرين ، ومن مطلع المحرم من العام الثاني عشر للهجرة بدأ زحف المجاهدين وبدأ المثني يضرب في معاقل الشرك على امتداد دجلة والفرات وتم فتح العراق في معارك فاصلة دارت بين المسلمين وأعدائهم وتجلت فيها الانتصارات بفضل حكمة القيادة وجهاد الأبطال وعسكرية خالد ، وبطولة المثني بن حارثة .

● من أقواله وحكمه ●

مما يؤثر عنه من حكيمة الأخبار ما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي برزة قال : (غضب أبو بكر فاشتد غضبه جدًّا ، فقلت : يا خليفة رسول الله أضرب عنقه ؟ فقال : ويلك ! ما هي لأحدٍ بعد رسول الله) .

وأخرج بن أبي شيبة في مصنفه عن الزبير أن أبا بكر قال وهو يخطب الناس : (يا معشر الناس ، استحيوا من الله ، فوالذي نفسى بيده إنني لأظن حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مغطياً رأسي استحياءاً من الله) .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن ابن عيينه قال : كان أبو بكر إذا عزى رجلاً قال : ليس مع العزاء مصيبة ، وليس مع الجزع فائدة ، الموت أهون مما قبله ، وأشد مما بعده ، اذكروا فقد النبي تصغر مصيبتكم وأعظم الله أجركم) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي صالح قال : (لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : هكذا كنا ، ثم قست القلوب) .

وأخرج أحمد في الزهد عن سلمان قال : (أتيت أبا بكر ، فقلت : اعهد إلى فقال :

(يا سلمان اتق الله ، واعلم أنه سيكون فتوح فلا أعرفن ما كان حظك منها ما جعلته في بطئك ، أو ألقيته على ظهرك ، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس ، فإنه يصبح في ذمة الله ، فلا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله فتخفر في ذمتك فيكبك على وجهك في النار) .

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعي قال : (كان أبو بكر إذا مُدح قال : اللهم أنت أعلم مني بنفس ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون) .

● مرضه ووفاته ، وعهده بالخلافة إلى عمر ●

وبعد حياة حافلة بالجهاد والنضال في سبيل نصره هذا الدين ، وقبل فترة وجيزة من نهاية رحلته في الحياة أصيب أبو بكر بوعكة صحية من أسبابها أنه اغتسل في يوم بارد ، فأصابته الحمى ، فلزم بيته ، لا يستطيع الخروج للصلاة .

ومما ذكرته السير أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان طعاماً أهدي لأبي بكر ، فقال الحارث لأبي بكر : ارفع يدك يا خليفة رسول الله ، والله إن فيه لسُم سنة ، فما زال يسرى في جسمه طوال عام كامل حتى أدركه الموت ..!

وفي هذا قال الشعبي : ماذا ننتظر من الدنيا الدنية وقد سُم رسول الله وسُم أبو بكر ؟!

ومما ذكرته السير أيضًا أنه لما شعر بدنو أجله في مرضه الأخير خشي من عودة الخلاف بين المسلمين ، فرأى أن يحتاط لهذا الأمر ويعهد بالخلافة ليجتمع المسلمين على وحدة دينهم ، فدعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : اخبرني عن عمر بن الخطاب . فقال : ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني ، ثم قال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان

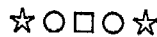
فقال : أخبرني عن عمر ؟ فقال أنت أخبرنا به ، فقال على ذلك ؟ فقال : اللهم علمي به أن سريره خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله وشاور معها سعيد بن زيد ، وأسيد بن الحُضير ، وغيرهما من المهاجرين والأنصار . ودخل عليه بعض الصحابة ، فقال قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر: بالله تخوفني؟ أقول : اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك ، أبلغ عني ما قلت مَنْ وراءك ، ، ثم دعا عثمان فقال : اكتب .. بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها . وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها .. إني استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدّل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ثم أمر بالكتاب فحتمه ، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً ، فبايع الناس ورضوا به ، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً ، فأوصاه بما أوصاه ، ثم خرج من عنده ، فرفع أبو بكر يده وقال : اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم ما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيراً ، وأقواهم عليهم ، وأحرصهم على ما أرشدهم ، وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصلح اللهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين ، وأصلح له رعيته !!..

وقد توفي أبو بكر - رضي الله عنه - ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمانى ليالى بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وأوصى - رضي الله عنه - أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس ويعينها عبد الرحمن ابن أبي بكر ، وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وصلى عليه عمر ، ونزل في حفرته : عمر ، وطلحة ، وعثمان بن عفان ، وابنه عبد الرحمن . رحمه الله ، ورضى عنه ، وحشرنا في زمرة وأما تناعلي محبته ... اللهم آمين ...



(٢)

عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ويتنسب إلى قبيلة عدى بن كعب وهى قبيلة عدنانية مشهورة ، ولانتسابه إلى عدى يقال له العدوى .

كان كريم النسب .. يلتقى فى نسبه مع النبى ﷺ فى الجد السابع من جهة أبيه ، ويجمع معه فى الجد السادس من جهة أمه .

وأمه حنثمة بنت هاشم بن المغيرة .. أما أبوه فهو الخطاب بن نفيل ابن عبد العزى وكنية عمر أبو حفص - كناه به النبى ﷺ - يوم بدر ، ويكنى بالفاروق لأنه أعلن إسلامه ونادى به والناس يخفون إسلامهم ، ففرق بين الحق والباطل ^(١) .

● مولده ونشأته ●

عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر - رضى الله عنه - قال : ولدت قبل الفجار الأعظم بأربع سنين ^(٢) ، وقال النووى : ولد عمر بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من أشرف قريش ، وكانت إليه السفارة فى الجاهلية ، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرًا ، وإذا نافروهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر ، بعثوه مفاخرًا ومنافرًا ورضوا به .

كان عمر مهيب الجانب فى قومه ، يتميز بالشدة وصدق العزيمة وقوة الشكيمة ، سديد الرأى .. وكان ذا شهامة ونجدة وجرأة .

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - أبيض البشرة مشربًا بحمرة ، فارع القامة ، مفتول الساعدين ، أصلع شديد الصلع ، كثيف اللحية ، شديد حمرة العينين . أشيب وكان لا يُغير شييه .

قال عنه ابن عباس : (كان حليف الإسلام ، ومأوى الأيتام ، ومحل الإيمان ، ومنتهى الإحسان ، كان للحق حصنًا ، وللناس عونًا ^(٣)) بحق الله محتسبًا صابرًا ، حتى أظهر الله الدين وفتح الديار ، وذكر الله عز وجل على التلال والبقاع ، وقورًا لله فى الرخاء والشدة ، شكورًا له فى كل وقت فأعقب الله من يبغضه الندامة إلى يوم القيامة .

(١) الطبقات لابن سعد ٣/ ٢٠١ . (٢) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٠٤ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٠١ ، وانظر لن تلقى مثل عمر للطوبجى ١٥ .

وقال عبد الله بن أويس حين سُئل عنه : (ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله ﷺ من حين قُبِضَ كان أجَدُّ ، وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب)^(١).

● إسلامه ●

من الأشياء التي اشتهرت على الألسنة قصة إسلام عمر بن الخطاب وهي لا تثبت^(٢) عنه، قال الحافظ شمس الدين الذهبي (منكرة جداً) وأشار إلى تضعيفها في السنن الدار قطنى .

ونحن بدورنا نذكر بعض ما صح في قصة إسلامه ..

عن عبد الله بن عمر قال : (لما أسلم عمر ، اجتمع الناس عند داره وقالوا صبأ عمر - وأنا فوق ظهر بيتي فجاء رجل عليه قباء ديباج فقال قد صبأ عمر فما ذاك ؟ فأنا له جار . قال فرأيت الناس تصدعوا عنه . فقلت من هذا ؟ قالوا : العاص بن وائل)^(٣) .

وعن ابن عمر أيضاً قال : (لما أسلم عمر بن الخطاب لم تعلم قريش بإسلامه فقال : أى أهل مكة أفشى للحديث ؟ فقالوا : جميل بن معمر الجمحي ، فخرج إليه عمر ، يقول ابن عمر : وأنا أتبع أثره أعقل ما أرى وأسمع ، فأتاه فقال : يا جميل إنى قد أسلمت ، قال ابن عمر : فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامداً إلى المسجد فنادى في أندية قريش ، فقال يا معشر قريش : إن ابن الخطاب قد صبأ ، فقال عمر : كذب ولكنى أسلمت وأمنت بالله وصدقت رسوله ، فتاوروه فقاتلهم حتى ركدت الشمس فوق رؤوسهم حتى فتر عمر وجلس ، فقال : افعلوا ما بدا لكم فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها أو تركناها لكم فبينما هم كذلك قيام إذ جاء رجل عليه حلة حريص وقميص موشى ، فقال : ما بكم ؟ فقالوا : إن ابن الخطاب قد صبأ ، فقال : فمه ؟ امرؤ اختار ديناً لنفسه أفتظنون أن بنى عدى تسلم إليكم صاحبهم ، قال ابن عمر : فكأنما كان ثوباً انكشف عنه فقلت له بعد بالمدينة : يا أبه (كذا) من الرجل الذى رد عنك القوم يومئذ ؟ قال : يا بنى ذاك العاص بن وائل)^(٤) .

(١) البخارى ٣٦٨٧ .

(٢) المقصود قصته مع أخته وقراءته لسورة طه .

(٣) البخارى ٣٨٦٥ ، وراجع في ذلك إن شئت فصل الخطاب في إسلام عمر بن الخطاب ٢٥ .

(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢١٨١ .

... هذا بعض ما صح في قصة إسلام عمر .. أما قصته المشهورة ، فقد سبق وأن ذكرنا أنها ضعيفة ولا تثبت ، كما أشار إلى ذلك الذهبي والدارقطني ، ومن أراد التفصيل فعليه بالرجوع إلى الرسالة المعنونة بـ « فصل الخطاب في إسلام عمر بن الخطاب » ففيها المزيد . فليراجعها من أراد .

● خلافته ●

لما نزل بأبي بكر الموت واستخلف عمر بعد مشورة المسلمين . ودخل طلحة بن عبيد الله فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقي الناس منه من غلظة وأنت معه وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربك فسألك عن رعيتك ؟ فقال أبو بكر : اجلسوني . فأجلسوه فقال : أبا الله تخوفني إذا لقيت ربي فسألني قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك . ثم إن أبا بكر أحضر عثمان خالياً ليكتب عهد عمر فقال له أكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ثم أغمى عليه ، فكتب عثمان أما بعد: فإنني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم أقصر . ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ عليّ فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، فلما كتب العهد أمر به أن يُقرأ على الناس .. فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا . وتوفي أبو بكر مساء الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاثة عشر ، فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبي بكر .

● من مناقبه ●

لم يزل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هو الأمير الأنموذج عند أهل الدنيا وأهل الآخرة ، فلقد انطبعت هذه الحقيقة في الأذهان حتى غدت بديهية . فقد كان - وما يزال - ثالث هذه الأمة في الفضل والخيرية بعدنبيها ، والصديق وعلى ذلك إجماع السلف والخلف من أهل السنة والجماعة .

● كان بالحق ناطقًا ، وبالعدل معروفًا ، وبالشجاعة موصوفًا ، وبالعبادة والخشوع والجهاد ملتزمًا ومرفوعًا ، بالإلهام اللائق بالأولياء مخصوصًا قال ابن عمر : (كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان - رضي الله عنهم)^(١) .

وقال أهل العلم : لما أسلم عمر عز الإسلام ، وهاجر جهراً ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها ، وتوفى رسول الله وهو عنه راضٍ ، وشهد له بالجنة^(٢) والشهادة^(٣) وبها سيكون على يده من الخير ووصفه بالعقري [لم أر عقريًا يفري فريه]^(٤) ويَبَيِّن أنه إن كان في الأمة محدث فهو عمر بن الخطاب^(٥) .

● كان مقربًا من رسول الله ﷺ يستشير في المهمات وقد صاهره بالزواج من ابنته حفصة ، وأخبر أن الشيطان يفري منه^(٦) . ومن مناقبه موافقته للقرآن في خمسة عشر موضعًا . قال : على إنا كنا لنرى أن في القرآن لكلامًا من كلامه ورأيًا من رأيه ، وقال ابن عمر : (ما نزل بالناس أمر فقالوا فيه وقال عمر إلا نزل القرآن بوافق قول عمر)^(٧) .

● ومن مناقبه أنه أول من جمع الناس لقيام رمضان ، وأول من تسمى بأمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من عسَّ في عمله وحمل الدرة وأدب بها ووضع الخراج ، ومَصَّر الأمصار ، واستقضى القضاة ، ودَوَّن الدواوين وفرض الأعطية وحج بالناس عشر حجج متوالية ، وحج بأمهات المؤمنين في آخر حجة حجها ، وقد ذلَّ لوطاته ملوك فارس والروم وعتاة العرب ، قال بعضهم كانت دُرَّة عمر أهيب من سيف الحجاج - والدرة هي العصا - وبلغ من هيئته أن الناس تركوا الجلوس على الأُفنية ، وكان الصبيان إذا رأوه وهم يلعبون فروا مع أنه لم يكن جبارًا ولا متكبرًا ، بل كان حاله بعد الولاية كما كان حاله قبلها .. بل زاد تواضعًا ، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أم شبانًا . ومن مناقبه محاسبة الولاية وفق مبدأ من أين لك هذا ؟ ومنعهم من أذى الرعية ، وفتح بابَه أمام

(١) سبق تخريجه في ص ١٢ .

(٢) صحيح البخارى ٣٦٧٤ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٨ .

(٤) صحيح البخارى ٣٦٨٢ .

(٥) صحيح البخارى ٣٦٨٩ .

(٦) صحيح البخارى ٣٦٨٣ .

(٧) صحيح سنن الترمذى ٢٩٠٨ .

شكاوى الناس وكان ربما حمل القرية على ظهره لأرامل المدينة ، ويحمل لهم صلتهم من بيت المال ، ويحلب لهم شياههم . وربما أوقد تحت قدورهم ونفخ النار وصلى حرها ودخانها ، وكان يسير منفرداً من غير حرس ولا حُجَّاب ، ولم تغره الإمرة ، ولم تبطره النعمة ، ولا استطال على مؤمن بلسانه ، ولا حابى أحداً في الحق لمنزلته ، وكان يقول للمسلمين : إنما أنا ومالككم كوالى اليتيم إن استغنيت استعفت ، وإن افتقرت أكلت .. وهذا غيض من فيض من مناقبه !!

● زهده ●

قال طلحة بن عبيد الله : (ما كان عمر بن الخطاب بأولنا إسلاماً وبأقدمنا هجرة ، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة)^(١) ، وقال أصحاب السير : (قالت حفصة بنت عمر لأبيها ، قال يزيد إنه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض وأكثر من الخير فلو طعمت طعاماً ألين من طعامك ، وليست لباساً ألين من لباسك ، قال عمر : سأخاصمك إلى نفسك ، أتذكرين ما كان من رسول الله ﷺ يلقي من شدة العيش فيما كان يذكرها حتى أبكاها .. ثم قال : إني قد قلت لك إني والله لئن استطعت لأشارككنها في عيشها الشديد لعل ألقى معها عيشها الرضى - يقصد الرسول ﷺ والصديق . وكان حفص بن أبى العاص يحضر طعام عمر فكان لا يأكل ، فقال له عمر : (ما يمنعك من طعامنا ؟ قال : إن طعامك جشب غليظ وإني راجع إلى طعام لين قد صنع لي فأصيب منه ، قال عمر : أتراني أعجز أن أمر بشاة فيلقى عنها شعرها وأمر بدقيق فينخل في خرقة ثم يصب في خرقة ثم أمر به فيخبز خبزاً رقيقاً ، وأمر بصاع من زبيب فيقذف في سعن^(٢) ثم يصب عليه من الماء فيصبح كأنه دم غزال ؟ فقال حفص : إني لأراك عالماً بطيب العيش ، فقال عمر : أجل ! والذي نفسى بيده لولا أخشى أن تنتقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم)^(٣) .

● واشتهى عمر سمكاً طرياً فأخذ يرفاً - خادمه - راحلة فسار ليلتين مقبلاً ومدبراً ، واشترى مكتلاً وجاء به وقام يرفاً إلى الراحلة يغسلها من العرق ، فنظر إليها عمر وقال : (عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر ؟ والله لا يذوق عمر ذلك)^(٤) .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٠٧/٣ .

(٢) السعن قرية ينبذ فيها ويستقى بها .. لسان العرب مادة سعن ٢٧١/٦ .

(٣) الطبقات الكبرى سعد ٢١٦/٣ . (٤) مناقب العشرة ٤٠٨ .

● ودخل ذات مرة على ابنه عبد الله . وإذا عندهم لحم فقال : (ما هذا اللحم ؟ فقال : اشتهيته . قال : أو كما اشتهيته شيئاً أكلته .. كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهاه)^(١) .

● وأتى عمر ببال فوضع في المسجد فخرج إليه يتفحصه وينظر إليه فهملت عيناه ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : يا أمير المؤمنين ما يبكيك ؟ فوالله إن هذا لمن مواطن الشكر . فقال عمر : (إن هذا المال ما أعطيه قوم قط إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء)^(٢) .

● ووفد على عمر مسك وعنبر من البحرين فقال : (والله لوددت أنى وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين ، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد ابن عمرو : أنا جيدة الوزن فهل أزن لك ، قال : لا . قالت لم ؟ قال : إننى أخشى أن تأخذه فتجعله هكذا ، وأدخل أصابعه في صدغيه ، وتمسحين به عنقك فأصيب فضلاً من المسلمين)^(٣) .

● وعن أنس قال : (تفرقر بطن عمر وكان يأكل الزيت عام الرمادة ، وكان حرم عليه السمن ، فنقر بطنه بإصبعه ، قال : تفرقر تفرقرك إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس)^(٤) ، والله در حافظ إبراهيم حين قال :

إن جاع في شدة قوم شركتهم	في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته	في الزهد منزلة سبحان مولها
فمن يبارى (أبا حفص) بسيرته	أو من يحاول للفاروق تشبيها
يوم اشتهدت زوجه الحلوى فقال لها	من أين لى ثمن الحلوى فأشربها
لا تمتطى شهوات النفس جامحة	فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به	أولى فقرومى لبيت المال رديها
كذلك أخلاقه العليا وما عهدت	بعد النبوة أخلاق تحاكيها !

● وعن السائب بن يزيد قال : (رأيت عمر في زمن الرمادة وعليه إزار فيه ست عشرة رقعة وهو يقول : اللهم لا تجعل هلكة أمة محمد على رجلى)^(٥) .

(١) أحمد في الزهد ١٥٣ .

(٢) أحمد في الزهد ١٤٩ .

(٣) أحمد في الزهد ١٤٩ .

(٤) الطبقات لابن سعد ٦٣٨ / ٣ . (٥) الطبقات لابن سعد ٢٤٣ / ٣ .

- وعن عامر بن ربيعة قال: (خرجت مع عمر حاجًا من المدينة إلى مكة إلى أن رجعنا فلما ضرب له فسطاطًا ولا خباءًا، بل كان يلقي الكساء أو النطع على الشجرة فيستظل تحته) (١).
- وعن الحسن قال: (مر عمر على مزبلة فاحتبس عندها فكأنه شق على أصحابه وتأذوا منها فقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها) (٢).

● ورعه وخوفه من الله ●

- كان عمر يتاجر وهو خليفة وقد جهز عيرًا إلى الشام . فبعث إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يستقرض منه أربعة آلاف درهم فقال للرسول: (قل له يأخذها من بيت المال ثم يردها . فلما جاءه الرسول وأخبره بما قال فشق ذلك عليه فلقية عمر فقال له: أنت القائل ليأخذها من بيت المال؟ فإن مث قبل أن تجيء قلت لأخذها أمير المؤمنين دعوها له وأخذها يوم القيامة ، لا ولكن أردت أخذها من رجل حريص شحيح . فإن مت أخذها من مالي) (٣).
- وعن المسور بن مخرمة قال: (كنا نلتزم عمر نتعلم منه الورع) (٤).

- وعن عبد الله الأشعري أنه خرج إلى عمر فنزل ضيفًا عليه وكان لعمر ناقة يحلبها ، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبنًا فأنكره فقال: (ويحك من أين هذا اللبن ؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها فحلبت لك ناقة من مال الله . فقال عمر: ويحك سقيتنى نارًا ! ادع لي عليًا بن أبي طالب قال: فدعاه فقال: إن هذا عمد إلى ناقة من مال الله فسقاني لبنها أفتحلله لي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ؛ هو حلال لك ولحمها) (٥).

- وعن قتادة قال: (قدم بريد ملك الروم على عمر فاستقرضت امرأة عمر دينارًا فاشتريت به عطرًا ، وجعلته في قوارير وبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم ، فلما أتتها فرغتهن وملأتهن جواهر ، وقالت: اذهب به إلى امرأة عمر ، فلما أتتها فرغتهن على البساط .

(١) الطبقات ٣/ ٢١١ .

(٢) أحد في الزهد ١٤٧ .

(٣) الطبقات الكبرى ٣/ ٢١١ .

(٤) الطبقات ٣/ ٢٣٠ .

(٥) مناقب عمر لابن الجوزي ١٥٢ .

فدخل عمر ، فقال : ما هذا ؟ فأخبرته فأخذ عمر الجوهر فباعه ، ودفع إلى امرأته ديناراً ، وجعل ما بقي في بيت المال (١) .

إن عمر ليكاد يذوب ويتحلل كلما هومت حوله من بعيد ومضة من ومضات ربه ذي الجلال والإكرام . وكان لا يفتأ يردد لنفسه هذا اللحن المهيّب : ما تقول لربك غداً ... ؟

عن عبد الله بن عوف عن أبيه عن جده قال : (صاح على عمر يوماً وعلاني بالدرّة فقلت أذكرك الله ، قال : فطرحها وقال : ذكرتنى عظيماً) (٢) .

ما تقول لربك غداً .. ؟ عبارة قد نتلوها في دعة ويسر ، أما هو فكانت تزلّه زلزالاً شديداً (٣) .

يقول الأحنف بن قيس : كنت مع عمر فلقية رجل فقال : (يا أمير المؤمنين انطلق معي فأعدني على فلان فقد ظلمني .. فرفع عمر درته وخفق بهارأس الرجل وقال له : تدعون أمر المؤمنين وهو معرض لكم ، مقبل عليكم ، حتى إذا شغل بأمر المسلمين أتيتموه : أعدني : أعدني - يعنى أنصفني - فانصرف الرجل وهو غاضب . فقال عمر : على بالرجل ، فلما عاد ناوله الدرّة وقال له : خذ واقتص لنفسك مني . قال الرجل : لا والله ، ولكنني أدعها لله ولك ، حتى قال ليس هكذا ، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده ، أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال أدعها لله . قال : أدعها لله . قال الأحنف : فانصرف ثم جاء يمشي حتى دخل منزله وأنا معه فصلى ركعتين ثم جلس فقال : يا ابن الخطاب : كنت وضيعاً فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربتك ، ما تقول لربك غداً إذا أتيتك ؟ قال الأحنف : فجعل يعاتب نفسه حتى ظننت أنه خير أهل الأرض (٤) .

(أكان عمر يخاف الله خوف العبد الذي يرهبه قرع العصا ولزع السياط ؟

لا ، وإنما كان يخشاه خشية الحر الذي يرجو لربه وقاراً ، ويضرع إليه إجلالاً وإكباراً ، ويخجل أن يلقاه بتقصير - أيّ تقصير - وهذا هو نشيده دوماً : كنت وضيعاً فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فأعزك الله فما تقول لربك غداً إذا أتيتك ... ؟ (٥) .

(١) مناقب العشرة ٤١٩ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ٢٣٥ .

(٣) خلفاء الرسول ١٣٧ .

(٤) أسد الغابة ٣ / ٦٥٤ وانظر خلفاء الرسول ١٣٧ .

(٥) خلفاء الرسول خالد محمد خالد ١٣٨ .

(ذات يوم ، يقول جليسه أبى موسى الأشعري : (يا أبا موسى ، هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله وهجرتنا معه ، وشهادتنا وعملنا كله يرد علينا ، لقاء أن ننجو كفافاً ، لا لنا ولا علينا .. ؟! فقال أبو موسى : لا والله يا عمر ، فلقد جاهدنا ، وصلينا ، وصمنا وعملنا خيراً كثيراً ، وأسلم على أيدينا خلق كثير وإنا لنرجو ثواب ذلك . فيجيبه عمر ودموعه تنحدر على وجنتيه كحبات لؤلؤ منثور : أما أنا فوالذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك يرد لي ، ثم أنجو كفافاً رأساً برأس .. !!) .

انظر إلى أى مدى يهاب الله ويستحي من جلاله !! إن رسول الله ﷺ بشره بالجنة وإنه لأقوى من كل شهوة وزلة ، حتى لكانه معصوم من الخطأ عصمة كاملة ، ومع هذا يقف دائماً من الله موقف الخشية والحذر والحياء .. (١) .

(وحين دُعى للقاء ربه ، واقتربت اللحظات التى سيودع فيها دنيا الناس ، وكانت مشغلته الكبرى حينئذ اختيار الرجل الذى يُسلمه الأمانة والزمَام ، اقترب منه المغيرة بن شعبة قائلاً : أنا أدلك عليه يا أمير المؤمنين ، إنه عبد الله بن عمر .. هنالك انتفض عمر وقال : لا أرب لنا في أموركم ، وإنى ما حمدتها - يقصد الخلافة - فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ، إن كانت خيراً أصبت منه ، وإن كانت شراً ، فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويُسأل عن أمر أمة محمد .. إلا إنى قد جهدت نفسى وحرمت أهلى .. وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر لى لسعيد .. !! بالله ما أتقاه ، وما أنقاه ، وما أبره ، وما أطهره .. إنه مهموم بما سيقوله لربه غداً .. وعمر في شدته حين يشتد ، وفي لينه حين يلين ، إنما يحركه حرصه الشديد على أن يلقي الله صادق اللهجة .

يقول لعبد الرحمن بن عوف : يا عبد الرحمن ، لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين ، ثم اشتددت حتى خشيت الله في الشدة ، وأيم الله لأنا أشد منهم فرقاً وخوفاً فأين المخرج ..؟ يقول هذا ويتحبب بأكياً .. فيقول عبد الرحمن بن عوف - وهو يتملى هذا المشهد الفريد - : أف لهم من بعدك (٢) .

(١) خلفاء الرسول ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق .

● تواضعه ●

(هل سمع الناس في طول دنياهم وعرضها ، بعاهل استحالت كل أبهة السلطان وبذخه أمام ناظريه إلى جمر ملتهب يتوقاه أكثر ما يكون التوقى ، ويحاول الفرار منه لو يجد للفرار سبيلاً .. ؟)

ذات يوم وهو جالس مع أصحابه اقتحم المجلس رجل مكروب تغشاه وعشاء السفر ، وإذا به يقترب من الناس فيراهم يقولون لأحدهم يا أمير المؤمنين ، فيتجه صوب الأمير ، ويقول له في مرارة : أنت عمر ؟ ويل لك من الله يا عمر !! ثم يمضى لحال سبيله غير وان ولا مكترث ويلحق بعض الحاضرين بالرجل في غيظ منهم عليه ، ولكن عمر يناديهم ويأمرهم أن يعودوا لمجلسهم ويهرول هو وراء الرجل وفؤاده يرتجف .. ألم يقل له الرجل : ويل لك من الله يا عمر ؟ ! إنها الطامة إذن ، وإنه الهول الذى لا يطيق عمر عليه صبراً . ويدرك الرجل ثم يعود به ويسأله : وبلى من الله لماذا يا أخا العرب ؟ فيجيبه الرجل ، لأن عمالك وولاتك لا يعدلون ، بل يظلمون . ويسأل عمر : أى عمالى تعنى ؟ يقول الرجل : عامل لك فى مصر اسمه عياض ابن غنم . ولا يكاد عمر يسمع تفاصيل الشكوى حتى يختار من أصحابه رجلين ويقول لهما : اركبا إلى مصر ، واتياني بعياض بن غنم !! هذا عمر . هذا الشامخ العارم الذى يتفجر قوة وبأساً وجرأة .. إذا أردت أن تبصره كعصفور احتواه إعصار .. فليس عليك إلا أن تقول له : ألا تتقى الله يا عمر ؟ هنالك تشهد إنساناً قامت يساره وكتابه منشوراً أمام عينيه والأفق كله يدوى فى سمعه (١).

﴿ اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (٢).

● ولقد كان معه تواضعه .. حتى وهو مشرف على الرجيل عن الدنيا .. وساعة كان يستقبل الموت يقول لابنه عبد الله : يا عبد الله خذ رأسى عن الوسادة وضعها فوق التراب ، لعل الله ينظر إلى فيرحمنى .. !!

● رآه زيد بن ثابت وعلى عاتقه قرية ماء وهو يتخلل الناس ، فقال : (يا أمير المؤمنين ، فقال لى : لا تتكلم وأقول لك ، يقول زيد : فسرت معه حتى صبها فى بيت عجوز ، وعدنا إلى

(١) خلفاء الرسول ١٤٦ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ١٤ .

منزله . فقلت له في ذلك . فقال : إنه حضرني بعد انصرافك رسول الروم ورسول الفرس فقالوا :
 لله درك يا عمر ، قد اجتمع الناس على علمك وفضلك وعدلك ، فلما خرجوا من عندي
 تداخلني ما يتداخل البشر فقممت ففعلت بنفسى ما فعلت (١) .

(ويسأل كل من يلقاه في لهفة وجد : قل لى بربك ولا تكذبني كيف تجد عمر .. ؟
 أتحسب الله راضيًا عنى .. ؟ أترانى لم أخف الله ورسوله فيكم .. ؟ عن أنس قال : (سمعت
 عمر يومًا وقد خرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعته وهو يقول : عمر أمير المؤمنين بخ بخ
 والله يا ابن الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك) (٢) .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : (صحبت عمر من المدينة إلى مكة في الحج ثم رجعنا
 فما ضرب فسطاطًا ، ولا كان بناء يستظل به ، وإنما كان يلقي كسائه على الشجرة فيستظل
 تحته) (٣) .

● عدله واهتمامه برعيته ●

(أما عن عدله واهتمامه برعيته فسوف نلتقى به في دروب التاريخ ونحاول أن نعيش معه
 لحظات ، ونأخذ من المشهد المكتوب عوض ما فاتنا من المشهد الحى ، والمشهد المسطور من
 تاريخه لا يكاد يختلف عن المشهد الحى إلا في غياب البطل عن حاسة البصر) (٤) .

ولنبداً في عرض بعضا لمشاهد :

(في عام الرمادة ، وكان عام مجاعة قاتلة بالمدينة ، أمر يومًا بنحر جزور وتوزيع لحمه على
 أهل المدينة .. وقام المختصون بالمهمة ، بيد أنهم استبقوا لأمر المؤمنين ، أطيب أجزاء
 الذبيحة .. وعند الغذاء ، وجد عمر أمامه سنام الجزور وكبده ، وهما أطيب ما فيه !! فقال :
 من أين هذا .. ؟ قيل من الجزور الذى ذبح اليوم . فقال وهو يزيجه بيده بخ بخ ، بشس الوالى
 أنا ، إن طعمت طيها ، وتركت للناس عظامها .. ثم نادى خادمه أسلم ، وقال له : ارفع هذه
 الجفنة وائتنى بخبز وزيت !! ..

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبرى ٤٢٢ وانظر خلفاء الرسول ١٤٦ .

(٢) أحمد في الزهد ١٤٤ . وانظر خلفاء الرسول ١٤٦ .

(٣) الطبقات لابن سعد ٢/٣١١ . (٤) خلفاء الرسول بتصرف ١٤٥ .

● وذات يوم يتلقى من أحد ولاته هدية من الحلوى ، ولا تكاد توضع بين يديه حتى سأل من جاء بها : ما هذا ؟ قال : حلوى يصنعها أهل آذربيجان ، فذاقها عمر ، فوجد لها مذاقاً شهياً فعاد يسأل من جاء بها .. أو كل المسلمين هناك يطعمون هذا ؟ قال الرجل : لا .. وإنما هو طعام الخاصة .. فأعاد عمر إغلاق الوعاء جيداً وقال للرجل : أين بعيرك .. ؟ خذ حملك هذا ، وارجع به لعتبة ، وقل له : عمر يقول لك : اتق الله ، واشبع المسلمين مما تشبع منه .. !!^(١) .

ويعقب على ذلك الأستاذ خالد محمد خالد في كتابه « خلفاء الرسول » فيقول : هذا الحاكم لا نلقاه في مكان الصدارة ، ولا في مقدمة الموكب إلا حين تكون المخاطر داهمة .. أما دون هذا ، فقد اختار مكانه دوماً هناك .. آخر المقعد .. في آخر صف .. ليحرس القافلة وليتأكد إذا كانت ثمة نعمة مقبلة أنها لم تبلغه إلا بعد أن قد مرت بالناس جميعاً .. !!

ونوالى عرض المشاهد .. لو رأيناه وهو يعاتب ولده عبد الله لرأينا عجباً .. مع أن عبد الله كان إماماً في الورع والزهد والتقوى .. فقد كان يتبع خطى أبيه ولم تكن نفسه لتزين له شبهة من سوء ، ومع هذا ، فما كاد عمر يراه يستروح نعمة متواضعة من نعم الدنيا إلا قال له : ألا نك ابن أمير المؤمنين تأكل لحماً ، والناس في خصاصة : إلا خبزاً وملحاً . إلا خبزاً وزيتاً ؟^(٢) ، ويخرج إلى السوق يوماً في جولة تفتيشية ، فيرى إبلاً سماناً ، تمتاز عن بقية الإبل بنموها وامتلأها ، فيسأل : إبل من هذه ؟ قالوا : إبل عبد الله بن عمر ، وانتفض عمر ، كأنها القيامة قامت ، وقال : عبد الله بن عمر .. ؟ بنح بنح يا ابن أمير المؤمنين .. !! وأرسل في طلبه من فوره ، وأقبل عبد الله يسعى .. وحين وقف بين يديه ، أخذ عمر يفتل سبله شاربه ، وقال لابنه : ما هذه الإبل يا عبد الله .. ؟ فأجاب : إنها إبل هزيلة اشتريتها بمالي وبعثت بها إلى المرعى أتاجر فيها ، وأبتغى ما يبتغى المسلمون . فعقّب عمر في تهكم لاذع : ويقول الناس حين يرونها .. ارعوا ابن أمير المؤمنين .. اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين .. وهكذا تسمن إبلك ، ويربوا ربحك يا ابن أمير المؤمنين !! ثم صاح به : يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك الذي دفعته في هذه الإبل واجعل الربح في بيت مال المسلمين !!^(٣) .

(١) خلفاء الرسول ١١٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

إن الحدث الذي لا يكاد يحشه أكثر الناس يقظة وتحفزاً وإنسانية كان عمر يرتجف منه ويحتشد له ويقيس عليه الأشياء والنظائر ثم يضع تشريعاً ويسن قانوناً^(١). ولنلمح هذا المشهد :

(قدم المدينة بعض التجار في إحدى الأمسيات ، وخيّموا عند مشارفها ، فاصطحب أمير المؤمنين عبد الرحمن بن عوف ليتفقداً أمر القافلة ، وكان الليل قد تصرم ، واقترب الهزيع الأخير منه .. وعند القافلة النائمة اتخذ عمر وصاحبه مجلساً على مقربة منها وقال لابن عوف : فلنمض بقية الليل هنا نحرس ضيوفنا ، وإذ هما جالسان ، سمعا صوت بكاء صبي ، فانتبه عمر وصمت .. وانتظر أن يكف الصبي عن بكاءه ، ولكنه تمادى فيه ، فمضى يسرع صوبه ، وحين اقترب منه وسمع أمه تُنهنه ، قال لها : اتقى الله وأحسنى إلى صبيك ! ثم عاد إلى مكانه .. وبعد حين عاود الصبي البكاء فهرول عمر نحوه ، ونادى أمه : قلت لك اتقى الله وأحسنى إلى صبيك !! وعاد إلى مجلسه . يئد أنه لم يكذب يستقر حتى زلله مرة أخرى بكاء الصبي ، فذهب إلى أمه وقال لها : ويحك .. إنني لأراك أمّا سوء . مالصبيك لا يقر له قرار ؟ قالت ، وهى لا تعرف عمر : يا عبد الله قد أضجرتنى .. إنني أحمله على الفطام فيأبى .. فسألها : ولم تحمليه على الفطام ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم .. قال وأنفاسه تتواثب : وكم له من العمر ؟ قالت : بضعة أشهر . قال : ويحك .. لا تعجله .. يقول عبد الرحمن بن عوف : فصلى بنا الفجر يومئذ وما يستئين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلّم قال : يا بؤساً لعمر ! كم قتل من أولاد المسلمين ؟! ثم أمر منادٍ ينادى في المدينة : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإننا نفرض من بيت المال لكل مولود يولد في الإسلام . ثم كتب بهذا إلى جميع ولاته في الأمصار)^(٢) .

وفي العام الذي لقي الله فيه ، كان على موعد مع نفسه أن يطوف بجميع الأمصار ليتفقّد أحوال الناس ويبلوا أخبارهم . ولقد قال يوماً لأصحابه : لئن عشت إن شاء الله ، لأسيرن في الرعية حولاً ، فإنني أعلم أنّ للناس حوائج تقطع دونى .. أما ولاتهم فلا يرفعونها إلىّ ، وأماهم فلا يصلون إلىّ .. أسير إلى الشام فأقيم شهرين وبالجزيرة شهرين ، وبمصر شهرين وبالبحرين

(١) المصدر السابق بتصرف يسير .

(٢) المصدر السابق .

شهرين ، وبالكوفة شهرين ، وبالبصرة شهرين .. والله لنعم الحول هذا .. !! ولكن لم يسعفه القدر ولم يمهل^(١) .

- إنما أنقل هذه المشاهد بدون ترتيب .. لنرى ملامح هذه الشخصية من كافة جوانبها .. ولنرى معاً هذا المشهد : (وفد على عمر وفد من أهل حمص فسألهم عن واليهم عبد الله بن قرط .. فقالوا : خير أمير لولا أنه قد بنى لنفسه داراً فارهة .. ويهمهم عمر : داراً فارهة .. يتسامخ بها على الناس ؟ يخ بن لابن قرط .. ثم أوفد إليه رسولاً ، يقول له : ابدأ بالدار فأحرق بابها ثم إئت به إلى أمير المؤمنين !!

ويعود الرسول إلى عمر بوالي حمص ويمتنع عمر عن لقائه ثلاثة أيام . ثم في اليوم الرابع يستقبله ويختار للقاء مكان يسمى الحرة حيث تعيش إبل الصدقة وأغنامها ولا يكاد الرجل يُقْبِلُ ، حتى يأمره أن يخلع حُلته ، ويلبس مكانها لباس الرعاة ويقول له : هذا خير مما كان يلبس أبوك .. ثم ناوله عصا وقال له .. وهذه خير من العصا التي كان أبوك يهش بها على غنمه .. ثم يشير بيده إلى الإبل ويقول له : اتبعها وارعها يا عبد الله .. !! وبعد حين يستدعيه عمر ، ويقول له معاتباً : هل أرسلتك لتشيد وتبنى .. ؟ ارجع إلى عملك ولا تعد لما فعلت أبداً .. !!

ألا ترون أننا أمام أسطورة .. بل لو كانت أسطورة يصعب تصديقها .. ولكن لحسن حظ البشرية أن (عمر) لم يكن أسطورة ، بل كان حقيقة ملأت الزمان والمكان .. وكان هدى من الله للناس يقول لهم : هكذا حاولوا أن تكونوا ..)^(٢) .

قال إياس بن سلمة : (مر عمر في السوق ومعه الدرة ، فوجدني واقفاً في طريق الناس ، فضربني ضربة خفيفة أصابت طرف ثوبي ، وقال : ابتعد عن الطريق حتى يستطيع الناس السير ، فلما كان العام المقبل لقيني وقال : يا ابن سلمة هل تريد الحج ؟ فقلت : نعم ، فأخذ بيدي فذهب إلى بيته ، فأعطاني ستمائة درهم وقال استعن بها على حجك واعلم أنها بالضربة التي ضربتك . قلت يا أمير المؤمنين ، إنني لا أذكرها ، قال عمر : وأنا ما نسيتها .. !!)^(٣) .

وتتزاخم المشاهد .. وتتقاذف سراعاً .. ويختار قلمي أى المشاهد يسجل وأى المشاهد يصور .. وأترك لقلمي العنان .

(٢) خلفاء الرسول ١٧٢ .

(١) نفسه .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١٦/٣ .

عن مولى عثمان بن عفان قال : (بينما أنا مع عثمان في مالٍ له في مكان يسمى العالية ، وفي يوم صائف قائظ يُذيب حرة الجبال ، إذ رأيت رجلاً يسوق بكرين من الإبل صغيرين ، فقال عثمان : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ؟ ثم دنا الرجل فنظرت فإذا هو رجل معمم بردائه .. فإذا بي أعرفه .. إنه أمير المؤمنين عمر .. فأخرج عثمان رأسه من كوة صغيرة متوقفاً سخونة الريح ، ونادى من أخرجك هذه الساعة يا أمير المؤمنين .. ؟ فأجاب عمر : بكران من إبل الصدقة تخلفا عن المرعى ، وخشيت أن يضيعا ، فیسألني الله عنهما !! فقال عثمان : هلُم إلى الماء والظل ، ونحن نكفيك هذا الأمر .. فقال له عمر : عُد إلى ظلك يا عثمان ، قال عثمان : عندنا من يكفيك هذا الأمر يا أمير المؤمنين .. فقال عمر : عُد إلى ظلك يا عثمان .. ومضى إلى حال سبيله .. والحريصهر الصخر !!)^(١).

(ويصعد المنبر يوماً فيقول : يا معشر المسلمين ، ماذا تقولون لو ملكتُ برأسى إلى الدنيا هكذا .. ؟ فيشق الصفوف رجل ويقول وهو يلوح بذراعه كأنها حسام ممشوق : إذن نقول بالسيف هكذا .. فيسأله عمر : إياي تعنى بقولك .. ؟؟ فيجيب الرجل : نعم إياك أعنى بقولى .. ! فتضى الفرحة وجه عمر ، ويقول : رحمك الله والحمد لله الذى جعل فيكم من يقوم عوجى .. !!)

لم يكن هذا الموقف من أمير المؤمنين موقفاً استعراضياً ، فعمر أكثر قوة وأمانة من أن يلجأ لمثل هذه المواقف ، وإنما كان سلوكاً صادقاً ، ونهجاً تلقائياً مخلصاً ، وينشد عمر من ورائه الوصول إلى الحق والطمأنينة .. على أنه يحكم أمة من الأسود لا قطيعاً من النعاج)^(٢).

● وكان - رضى الله عنه - في سفر قريباً من الروحاء فسمع صوت راعٍ في جبل فعدل عمر إليه فلما دنا منه صاح : (يا راعى الغنم ، يا راعيتها ، فأجابها الراعى فقال : إني قد مررت بمكان هو أنصب من مكانك وإن كل راعٍ مسئول عن رعيته)^(٣).

(وما هو شبح قادم من بعيد .. من مصر يستغيث بأمر المؤمنين .. أتذكرونه ؟ إنه المصرى الذى ضربه ابن والى مصر آنذاك عمرو بن العاص يقول : يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك .. إن محمد بن عمرو بن العاص قد ضربنى لأنه سابقنى فسبقتة فعلا ظهري بالسوط وهو يقول : خذها وأنا ابن الأكرمين .. !)

(١) أسد الغابة ٣/ ٦٦٨ وانظر خلفاء الرسول ١٨٠ .

(٢) خلفاء الرسول ١٩٠ وما بعدها . (٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٢١ .

يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه - وقد كان حاضراً هذا المشهد .. فوالله ما زاده عمر على أن قال : اجلس ثم كتب إلى عمر إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمد .. فقدم على عمر .. قال أنس : فوالله إذ نحن بعمر بن العاص وقد أقبل في إزار ورداء فجعل عمر يتلفت باحثاً عن ابنه محمد ، فإذا هو خلف أبيه .. فقال عمر : أين المصري ؟ فقال : ها أنا ذا يا أمير المؤمنين .. قال عمر : خذ الدرة واضرب ابن الأكرمين فضربه حتى أثخنه .. فلم ينزع حتى أحبيناً أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين !! ثم قال عمر : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه .. قال المصري : يا أمير المؤمنين ، قد استوفيت ، واشتفيت ، وضربت من ضربني .. قال عمر : أما والله لو ضربته ما حللنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه .. ثم التفت إلى عمرو وقال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .. والتفت إلى المصري وقال : انصرف راشداً ، فإن رابك شيء فاكتب إلى !!..^(١) .

ونقف أمام هذا المشهد بدون تعليق .. فهو أبلغ من أي تعليق !!..

(وقد وسع العدل في عهده أهل الرباط في ثغورهم ، وبقية المسلمين أيًا كانت أماكنهم حتى العجائز والأرامل .. ولقد كان يقول : لأن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى أحد بعدى أبداً)^(٢) .

● ولقد اهتزت الأرض في عهده فضربها بالدرة وقال : « ويحك ، ألم أعدل عليك ؟ ! » .

● حدث في خلافة عمر ●

لقد كانت خلافة الفاروق حافلة بجلائل الأعمال .. فقد قوض الله على يديه أعظم امبراطوريتين في ذلك العصر : الروم وفارس ، ونمت في عهده فتوحات واسعة ، تسير جيوشه مكلفة بأكاليل النصر والظفر ، لا تُنكس لها راية ، ولا يطوى لها لواء ناشرة عقيدة التوحيد ، حاملة مبادئ الخير والعدل والرحمة إلى كل الأقطار والأمصار .

● ففي سنة أربع عشرة : فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة ، وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح .

(١) خلفاء الرسول ١٩١ وما بعدها .

(٢) عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام سليمان العودة ٢٥ .

- وفي سنة خمس عشرة: فتحت الأردن، وفيها كانت واقعة اليرموك، والقادسية^(١) وفيها فرض عمر الفروض، ومصر الأمصار، ودون الدواوين.
- وفي سنة ست عشرة: فتحت الأهواز والمدائن، وأقام بها سعد في إيوان كسرى وفيها كانت موقعة جلولاء، وفيها فتحت تكريت، وفيها سار عمر ففتح بيت المقدس.
- وفي سنة سبع عشرة: زاد عمر في المسجد النبوي، وفيها كان القحط وسمى عام الرمادة.
- وفي سنة ثمان عشرة: فتحت جند يسابور صلحا، وحلوان عنوة، وفيها كان طاعون عمواس^(٢)، وفيها فتحت الرها وحران، والموصل ونواحيها عنوة.
- وفي سنة عشرين: فتحت مصر عنوة، وفيها فتحت تستر، وفيها هلك قيصر عظيم الروم، وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران.
- وفي سنة إحدى وعشرين: فتحت الإسكندرية، ونهاوند، وبرقة.
- وفي سنة اثنتين وعشرين: فتحت آذربيجان، والدينور، وهمدان، وطرابلس والمغرب.

● وفي سنة ثلاث وعشرين: كان فتح كرمان، وسجستان، ومكران وأصبهان ونواحيها وفي آخرها كانت وفاة الفاروق عمر - رضى الله عنه - بعد صدوره من الحج شهيدا. قال سعيد بن المسيب: (لما نفر عمر من منى أناخ بالأبطح، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم كبرت سننى، وضعفت قوتى، وانتشرت رعيتى، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل - رحمه الله)^(٣).

● أوليات عمر ●

لقد كان - رضى الله عنه - أول من سُمى أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ من الهجرة، وأول من اتخذ بيت المال، وأول من سن قيام شهر رمضان، وأول من عس بالليل -

(١) انظر خبر هذه الواقعة في الحديث عن سعد بن أبى وقاص - وكذا فتح المدائن ص ١٢٣/ ١٢٥.

(٢) انظر خبر ذلك في الحديث عن أبى عبيدة بن الجراح ص ١٤٥.

(٣) تاريخ الخلفاء ١٠٥ ط دار الكتب العلمية.

أى تفقد أحوال الناس ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب في الخمر ثمانين ، وأول من حرّم المتعة ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول من فتح الفتوح ، ومسح السواد ، وأول من حمل الطعام في مصر من بحر أيله إلى المدينة ، وأول من قال : أطال الله بقاءك ..! قالها لعل ابن أبي طالب ، وأول من قال : أيدك الله ! قالها لعل^(١) .

وقال ابن سعد : اتخذ عمر دار الدقيق ، فجعل فيها الدقيق والسويق ، والتمر ، والزبيب وما يحتاج إليه : يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به ، وهدم المسجد النبوي ، ووسعه وزاد فيه وفرشه بالحصباء ، وهو الذي أخر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم ، وكان ملصقاً بالبيت^(٢) .

● استشهاد عمر ●

وبعد حياة حافلة بجلال الأعمال .. أنصت لها الزمان وسجلها قلم التاريخ بحروف من نور .. شاء الله سبحانه أن يموت الفاروق شهيداً ..!! (..) فها هو يعود من بيت الله حاجاً سنة ٢٣ هـ ، فينزل بالأبطح ، وتدور في مخيلته خواطر كثيرة .. ترى هل يطول بعمر العهد على تلك الحال ؟ وهل تستمر أوضاع المسلمين على ذلك المنوال ؟ أم يتمنى عمر أن يلقي الله قرير العين مرتاح البال ؟

لقد دونت الدواوين ، ومصرت الأمصار ، ونال كل ذى حق حقه ، ووسع العدل أهل الرباط في ثغورهم ، وبقية المسلمين أيّاً كانت أماكنهم . لكن عمر يتضرع إلى الله بقلب خاشع .. « لقد كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعتى ، وأخشى التقصير على نفسى ، اللهم فاقبضنى إليك شهيداً وفي بلد نبيك ﷺ » .. ويستجيب الله دعاءه ويدفن بجوار رسول الله ﷺ وصاحبه^(٣) .

أما عن كيف قتل ؟

فقد ذكر أصحاب السير أن عمر كان لا يأذن لمشاركه قد احتلم بدخول المدينة حتى كتب

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٨ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٦٠ .

(٣) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ٢٥ ، ٢٦ .

المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صانعاً ويستأذنه أن يدخله المدينة ، ويقول إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس ، إنه حداد ، نجار ، نقاش ، فأذن له عمر أن يرسل به .

وقبيل قتل عمر جاءه هذا الغلام - وهو أبو لؤلؤة المجوسى - يشتكى ويتظلم من الخراج الذى فرضه عليه سيده المغيرة بن شعبة ومقداره درهمان فى اليوم - وقيل أربعة - وسأله عمر عما يملكه من صناعة فأجاب بأنه نقاش ، حداد ، نجار . فقال عمر : ما أرى خراجك بكثير على ماتصنع ، فأنصرف شاخطاً يتدمر ، وقال : وسع الناس كلهم عدله غيرى . فأضمر على قتله .

فلبث عمر ليلالى ثم دعاه فقال : ألم أخبر أنك تقول : لو أشاء لصنعت رضى تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابساً وقال : لأصنعن لك رضى يتحدث بها الناس . فلما ولى قال عمر لأصحابه : أوعدنى العبد آنفاً ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه ، فكمّن بزواية من زوايا المسجد فى الغلس ، فلم يزل هناك ، وكان عمر يقول أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر فجاء فقام حذاءه فى الصف وضربه فى كتفه وخاصرته ، فسقط عمر وهو يقول قتلنى الكلب ، وطار أبو لؤلؤة بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة ، فلما رأى ذلك رجلٌ طرح عليه برداً فلما ظن أنه مأخوذ قتل نفسه وتناول عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقذمه يصى ، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون : سبحان الله .. سبحان الله وصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة ، وحمل عمر إلى البيت وهو لم يصل بعد فقبل يا أمير المؤمنين : (الصلاة ، الصلاة ، قال : الصلاة ها الله إذن لاحظ لإمرى فى الإسلام ضيع صلاته)^(١) ، ثم وثب يقوم للصلاة فانبعث الدم من جرحه ، قال : هاتوا إلى عمامة فعصب بها جرحه ثم صلى ثم قال : « يا أيها الناس على ملائمتكم كان قتلى ؟ فقال على : لا والله يا أمير المؤمنين ، وما ندرى من الطاغى من خلق الله ، أنفسنا تفدى نفسك ، ودمائنا تفدى دمك ، فالتفت إلى ابن عباس فقال : اخرج فسل الناس ما بالهم وأصدقنى الحديث ، فخرج ثم جاء فقال : يا أمير المؤمنين : أبشر بالجنة ، لا والله ما رأيت عيناً تطرف من خلق الله من ذكر

(١) مالك فى الموطأ بنحوه ٥١/٢ .

ولا أنثى إلا باكية عليك ، يفدونك بالأبواء والأمهات ، طعنك غلام المغيرة وطعن معك اثني عشر رجلاً . فقال عمر : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعى الإسلام .

ثم قال الناس : يا أمير المؤمنين لو شربت شراباً فشرب فخرج شراباً من جرحه مع الصديد ولم يتبين لهم أنه شرابه الذي شربه . فقالوا لو شربت لبناً فشرب فخرج من جرحه ، فلما رأى يياضه بكى وأبكى من حوله وقال : هذا حين لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلاع ، قالوا : وما أبكاك إلا هذا ؟ قال : وما أبكاني غيره ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين : والله إن كان إسلامك لنصرًا ، وإن كانت إمارتك لفتحًا ، والله لقد ملأت الأرض عدلاً ، ما من اثنين يختصمان إليك إلا انتهيا إلى قولك . فقال عمر : أجلسوني ، ثم قال لابن عباس : أعد عليّ كلامك ، فلما أعاد عليه قال عمر : أتشهد لي بذلك عند الله عز وجل يوم القيامة ؟ فقال ابن عباس : نعم ، ففرح بذلك وأعجبه ، ثم التفت إلى ابنه عبد الله وقال ضع خدي على الأرض فلم يكثر لها ، فقال مرة أخرى : ضع خدي على الأرض يا بني ، فلم يفعل ، فقال الثالثة : ضع خدي على الأرض لا أم لك !!

يقول عبد الله : ولم يمنعه أن يضعه هو إلا مضافه من الغلبة وقال : فوضعت خده على الأرض حتى نظرت إلى أطراف شعر لحيته خارجة من بين أصغاب الأرض ، وبكى حتى نظرت إلى الطين قد لصق عينيه فأصغيت أني أسمع ما يقول ، فسمعتة يقول : يا ويل عمر وويل أم عمر إن لم يتجاوز عنه ويوصي عمر ابنه عبد الله بأن يقضى ما عليه من ديون ، وأن يستأذن أم المؤمنين عائشة في أن يدفن مع صاحبيه ويقول له : (انطلق إلى عائشة فقل يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين ، فإنني لست اليوم للمؤمنين أميراً ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، ويستبشر عمر حينما يطمئنه عبد الله بسماع أم المؤمنين وإذنها له في دفنه بجوار صاحبيه)^(١) ، وكان ذلك هو الأمر الوحيد الذي عاد يهيمه ويوليه فكره «الحمد لله ما كان من شيء أهم إليّ من ذلك» .

ولقد كان طعن عمر - رضي الله عنه - ثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة فيعيش بعد ذلك ثلاثة أيام ، وقيل سبعة .

(١) صحيح البخارى ١٣٩٢ .

● أثر مقتله على المسلمين^(١) ●

كان هول الفاجعة على المسلمين عظيماً ، فلم تكن الحادثة بعد مرض ألمّ بعمر ، كما كان يزيد من هولها في المسجد وعمر يؤم الناس لصلاة الصبح ، ومعرفة حال المسلمين بعد وقوع الحدث يطلعنا على أثر الحادث في نفوسهم . يقول عمرو بن ميمون : (... وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ) ويذهب ابن عباس ليستطلع الخبر بعد مقتل عمر ليقول له : (إنه ما مرّ بملأ إلا وهم يبكون وكأنما فقدوا أبنكار أولادهم) ، لقد كان عمر - رضي الله عنه - معلماً من معالم الهدى ، وفارقاً بين الحق والباطل .. أفلا تتأثر الناس بفقده ؟!

فقد كان عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عندما يذكر له عمر يبكي حتى تبتل الحصى من دموعه ثم يقول : (إن عمر كان حصناً للإسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات انثلم الحصن فالناس يخرجون من الإسلام)^(٢).

ويقول أيضاً : (إن موت عمر ثلم ثلثة لا ترتق إلى القيامة)^(٣) . أما أبو عبيدة ابن الجراح ، فقد كان يقول قبل أن يقتل عمر : (إن مات عمر رق الإسلام ، ما أحب أن لي ما تطلع عليه الشمس أو تغرب وأن أبقى بعد عمر ، فليل له : لم ؟ قال : سترون ما أقول إن بقيتم ، وأما هو فإن ولي وال بعد فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يقطع له الناس بذلك ولم يحملوه ، وإن ضعف عنهم قتلوه)^(٤) .

(ويكفي أن نتصور ما قاله أبي طلحة - رضي الله عنه - لنعرف إلى أي مدى كان تأثير مقتل عمر على مجتمع المسلمين ، قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : (اجتمع أصحاب الشورى فلما رأهم أبو طلحة وما يصنعون قال لأن تدافعوها أخوف مني أن تنافسوها ، فوالله ما من أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم في موت عمر نقص في دينهم ودنياهم)^(٥) .

(١) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام د/ سليمان العودة ٢٩ .

(٢) الطبقات الكبرى ٣ / ٢٨٤ .

(٣) الطبقات الكبرى ٣ / ٢٨٤ .

(٤) الطبقات الكبرى ٣ / ٢٨٤ .

(٥) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ٢٩ بتصرف .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر قال : (سمعت رجلاً من الأنصار يقول : لقد دعوت الله أن يريني عمر في المنام ، فرأيتُه بعد عشر سنين ، وهو يمسح العرق على جبينه ، فقلت يا أمير المؤمنين ما فعلت ؟ قال : الآن فرغت ولولا رحمة ربي لهلك) (١) .

● ولقد كانت مدة خلافته - رضى الله عنه وأرضاه - عشر سنين وستة أشهر وخمس

ليالٍ !!..

● من أقواله وكلماته الخالدة ●

● كتب عمر إلى ابنه عبد الله : أما بعد : فإن من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكره زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا دين له ، ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .

● وقال - رضى الله عنه - لولا أن أسير في سبيل الله ، أو أضع جبينى في التراب أو أجالس قومًا يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله .

● وقال : لن يعطى أحد بعد كفر بالله عز وجل شيئاً شراً من امرأة حديدة اللسان ، سيئة الخلق ، لا ودودة ولا ولودة .

● ونظر يوماً إلى شاب قد نكس رأسه فقال له : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب ، فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما فى القلب ، فإنما أظهر للناس نفاقاً على نفاق .

● وقال أيضاً : يأتى على الناس زماناً يكون صالح من لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر . إن غضبوا غضبوا لأنفسهم ، وإن رضوا رضوا لأنفسهم لا يغضبون الله ولا يرضون الله .

● وقال أيضاً : إن أخوف ما أخاف عليكم تغير الزمان ، وزيغة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون يضلون الناس بغير علم .

(١) الطبقات الكبرى ٣ / ٢٨٦ .

- وخطب يوماً بالجابية^(١) فقال : إن الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فقال القس : الله أعدل أن يضل أحداً . فبلغ ذلك عمر فبعث إليه « بل أضلك الله ولولا عهدك لضربت عنقك !! » .
- وكان يقول : إن الرجف من كثرة الجور ، وإن قحوط المطر من قضاء السوء وأئمة الجور .

● من وصاياه ●

- قال يوصي الخليفة بعده : « أوصى الخليفة بعدى بتقوى الله عز وجل ، وأوصيه بالمهاجرين الأولين أن يعلم لهم فيتهم ، ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيراً ، أن يقبل من محسنهم ، ويعفوا عن مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم رداء الإسلام ، وحياة المال وغيظ العدو وألا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضا .
- وقال يوصي عثمان : اتق الله إن وليت شيئاً من أمور المسلمين فلا تحملن بنى أمية على رقاب المسلمين !!..
- وقال لعل : اتق الله إن وليت شيئاً من أمور المسلمين فلا تحملن بنى هاشم على رقاب المسلمين .
- وقال يوصي سعد والزبير : وأنتما فاتقيا الله إن وليتما من أمور المسلمين شيئاً !!



(١) مكان يسمى الجابية .

(٣)

عثمان بن عفان

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

● نسب ومولده ●

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .
يجمع مع الرسول ﷺ - فى عبد مناف - وهو أقرب العشرة نسباً إلى الرسول بعد على .
● ولد فى السنة السادسة من عام الفيل ، وأسلم قديماً ، وهو ممن دعاهم الصديق إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين^(١) .

● تزوج رقية بنت رسول الله قبل النبوة ، وماتت عنده فى ليلالى غزوة بدر فتأخر عن بدر لتمريرها بإذن رسول الله وضرب له بسهمه وأجره ، فهو معدود فى البدرين بذلك . وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوا رقية ، وزوجه رسول الله بعدها أختها أم كلثوم - وتوفيت سنة تسع من الهجرة^(٢) .

قال العلماء :

- ولا يعرف أحد تزوج بنتى بنى غيره ، ولذلك سمي « ذا النورين » .
- كان يُكنى فى الجاهلية أبا عمرو ، فلما كان الإسلام ولدت له رقية عبد الله فاكتنى به .
- أمه : أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف .
- وأما : أم الحكم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، توأمة أبى رسول الله ﷺ ، فأم عثمان عمة النبى^(٣) .

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - رجلاً ربعة ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسن الوجه أبيض مشرباً بحمرة ، كث اللحية ، بعيد ما بين المنكبين ، خدل الساقين ، طويل الذراعين ، شعره قد كسا ذراعيه ، أحسن الناس ثغراً ، له جمّة أسفل أذنيه ، يخضب لحيته بالصفرة ، وكان قد شدّ أسنانه بالذهب ، وكان محباً فى قريش ، ففيه يقول قائلهم :

(١) تاريخ الخلفاء ١١٨ ط دار الكتب العلمية .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(أحبك الرحمن حب قريش لعثمان !)^(١) ، قال عنه عبد الرحمن بن حاطب :
(ما رأيت أحداً من أصحاب رسول الله كان إذا حدث أتم حديثاً ولا أحسن من عثمان إلا أنه كان يهاب الحديث) .

وقال عبد الله بن حزم المازني : (رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط أحسن وجهاً منه) .
وقال موسى بن طلحة : (كان عثمان من أجمل الناس وجهاً وكان يتختم في اليسار) .
● وكان - رضي الله عنه - تاجراً في الجاهلية والإسلام ، وكان يدفع ماله قراضاً .

● إسلامه ●

(.. في الساعات الأولى التالية لشروق فجر الرسالة ، كان هناك نفرٌ كرام من صفوة البشر ، وضع القدر عينه عليهم ليصطنع منهم الرعيل الأول في الموكب الباهر الهادر الطويل الذي سيحمل عبر القرون كلمة الدين إلى الدنيا .. والذي سيحمل نور الله وهداه إلى الخلائق المزدحمة في تيه ما له أول من آخر ، وماله من قرار)^(٢) .. !!

وحين تتقدم المقادير بنفسها لتختار وتصطفى ، فإنها تدع العقول في حيرة من طريقته ونهجها في الاختيار .. فنجدها تختار السيد المتألق في جبين قومه ، المتربع فوق ذرى المجد من عشائره ، إلى جوار العبد الرقيق الذي يُباع ويُشترى ، ولا يملك من دنياه سوى السلاسل والأغلال .. !^(٣) .

(.. إن القدر وهو يختار أبطاله من الجموع المزدحمة ، إنما يضع كلتا عينيه على الشخصية الباطنة لكل فرد ، حيث تكمن حقيقته ، وتبدو في غير زخرف ولا زيف ولا تنكر . وعلى الشخصيات السوية التي يؤهلها طهرها ونبيلها ، واستقامتها للاصطفاء ، كان القدر يضع وسامه ، معلناً بذلك اختيار البطل لدوره .. على هذا المستوى ، وبهذا النهج ، تقدمت مقادير الإسلام لتختار له الجديرين بحمل دعوته في فجره الغص ، وأيامه الباكرة ومن هؤلاء المصطفين ، كان « عثمان » .. !^(٤) .

(١) تاريخ الخلفاء ١٧٦ .

(٢) خلفاء الرسول ٢٣٧ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(وعثمان رجل نادته الأقدار ودعته من بين صفوف العلية والصفوة ، عليّة قريش وصفوة العرب ، ليأخذ مكانه مبكرًا بين الأوائل المبكرين في موكب الهدى ودين الحق .. وحين تلقى إشارة ليتسلم دوره لم يتردد لحظة .. ومن تحت سقفه المرفوعة ، ومن فوق فرشته الموضوعة ، ومن بين مناعمه ، وودياه الحافلة العريضة ، خرج حاملاً أعباء دوره الجديد ، مستقبلاً حياة المتاعب والتضحية والعطاء . وكان إسلامه وديعاً غصّاً ، كأنفاس الزهر في فجر الربيع !! فلم يكد الصديق يمس في أذنه نبأ الدعوة الجديدة .. حتى انفتح قلب الرجل السمع الحصى عن آخره (١) .

قال ابن إسحاق :

(لما أسلم أبو بكر جعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه الزبير ، وعثمان ، وطلحة .. وغيرهم ، وقرأ عليهم القرآن فأمنوا به ، فأصبحوا مقرين بحق الإسلام ، فكان هؤلاء من السبعة الذين سبقوا إلى الإسلام فصلوا وصدقوا (٢) .

(.. وهكذا نزل عثمان إلى ميدان الدعوة بكل مخاطرها في وقت تندر فيه النصره ، ويعز النصير .. لقد ترك حياته المستقرة الممتلئة ، إلى فراغ المجهول تتهدده المحاذر والأخطار .. !! (٣) .

(وقد وضع خطاه على درب غير مطروق ، تاركاً الندى الذى كان يموج بالصحبة المؤنسة والحياة المرحّة الحافلة ، ولا يطول به الوقت حتى تكون قريش قد شحذت أنيابها ، وراحت أحقادها تتلمظ بهذه العشيرة المؤمنة التى يقودها رسولها في طريق الهدى والنور . ويتلقى عثمان من تلك الأحقاد الضارية ما يضاهى مكانته السابقة في قومه . ويتولى أمر تعذيبه عمه - الحكم ابن أبى العاص - فيوثقه بالحبال وبالسلاسل ، ويصرخ في وجهه في حنق وغيط .

أترغب عن ملة آبائك وأجدادك إلى دين محدث .. ؟؟ والله لا أحل وثاقك حتى تدع ما أنت عليه من الدين .

(١) خلفاء الرسول خالد محمد خالد ٢٣٨ وما بعدها .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٥٠ .

(٣) خلفاء الرسول ٢٣٩ .

فقال عثمان في إصرار وتحدي واضح : والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه .. !!

ويتولى عمه تعذيبه .. ويوالى عثمان إصراره .. وتحاصره قريش كلها بازدياء مصطنع آملّة أن تذلل كبريائه . وتهز كرامته .. لكنه كان قد نبذ وراءه عالمهم بكل مافيه من غرور وباطل .. وهكذا صمد عثمان للأذى . ونمت أعداد المسلمين الذين دخلوا في دين الله . وتضرمت نيران قريش وأوغلت في تعذيبها واضطهادها . ورأى الرسول الرحيم ألاّ قبل لأكثر أصحابه بهذا الأذى فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، وكان عثمان أول مهاجر إليها ومعه زوجته رقية بنت الرسول ، وكان قد زوجها له بعد إسلامه^(١) .

● أخلاقه ومناقبه ●

كان - رضى الله عنه - كما رأينا - من السابقين الأولين للإسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى ، وهو ثالث الخلفاء الراشدين ، وصاحب الفتوحات الإسلامية الخالدة ، وجامع الناس على المصحف الإمام .

ومنذ أسلم - رضى الله عنه - كانت صفاته وأخلاقه مناراً شاخناً يقتدى به . فقد مضى في إيمانه قوياً هادئاً ، وديعاً صابراً ، عفواً كريماً ، محسناً ، رحيماً .

● ومن أشهر أخلاق عثمان - تلك الصفة النبيلة التي زينه الله بها فكانت منبع الخير ومصدر العطف والرحمة على الرعية - وهى صفة الحياء ، وقد عظم فيه رسول الله ﷺ هذه الخصلة وأثنى عليه ، عن عائشة قالت : (كان رسول الله مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه - أو ساقيه - فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحالة ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه .. فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهش له ، ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ؟ فقال : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)^(٢) .

(١) خلفاء الرسول ٢٤٧ .

(٢) الحديث في صحيح مسلم برقم ٢٤٠١ .

● جود عثمان وسخاؤه ●

وكان عثمان - رضي الله عنه - أجود الأمة وأسخاها ، وله في ذلك مواقف ماثرة من مآثر التاريخ الإسلامي . على أن سخاؤه كان خليقة من خلائقه لا تكا ولا يستكثر في باب المروءة ومواساة المسلمين شيئاً ، فقد روى أنه كان له على طلحة الله - وكان من أجود الناس - خمسون ألفاً ، فقال له طلحة يوماً : قد تهبأ مالك ف فقال له عثمان : هو لك معونة على مروءتك (١) .

● ومن مآثر جوده وسخائه أنه اشترى بئر رومة للمسلمين .. فعندما هاجر آل وأصحابه إلى المدينة ، لم يكادوا يستقرون بها حتى فاجأتهم مشكلة الماء ، وكان لرجل غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع القرية بمد فقال له النبي ﷺ بعينها بعين في الج يا رسول الله ليس لي ولعالي غيرها ، فبلغ ذلك عثمان فاشتراها .. ثم أتى النبي فقال : أتجعل لي ما جعلت له ؟ قال : نعم ، فقال عثمان : قد اشتريتها وجعلتها للمسجد (وعندما فتح الله مكة لنبيه ، وعاد إليها ظافراً كريماً .. رأى أن يوسع في المسجد فعرض على أصحاب بيت ملاصق للمسجد أن يتبرعوا لغرض توسعة المسجد فاعت لا يملكون غيره ، وليس لهم مال يشترون به سواه .

ومرة ثانية - كان هناك عثمان - لم يكد النبأ يبلغ مسامعه ، حتى سارع إلى صا- واشتراها منه بعشرة آلاف دينار (٣) .

(وفي العام التاسع الهجري - ولي هرقل وجهه المتآمر صوب الجزيرة العربية برغبة شريرة في العدوان عليها والتهامها .. وأمر قواته بالاستعداد وانتظار أمره ب- وترامت الأنباء إلى الرسول ﷺ فنأدى في أصحابه بالتهيؤ للجهاد . وكان الصيف - الجبال ، وكانت البلاد تعاني الجذب والعسرة .. فإن قاوم المسلمون بإيمانهم وطأة ا- وخرجوا إلى الجهاد فوق الصحراء الملتهبة المتأججة ، فمن أين لهم العتاد ، والنفقة يتطلبها الجهاد ..؟

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢١٦/٧ .

(٢) ابن حجر في الفتوح ٩٧٠/٣ ، ٤٧٨/٥ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٢١٦/٧ .

لقد حض الرسول على التبرع ، فأعطى كل قدر وسعه ، وسارعت النساء بالحلى يقدمنه إلى رسول الله ﷺ يستعين به في إعداد الجيش .. يئد أن التبرعات جميعها لم تكن لتغني كثيراً أمام المتطلبات للجيش الكبير .. ونظر الرسول ﷺ إلى الصفوف الطويلة العريضة من الذين تهبوا للقتال وقال : (من يجهز هؤلاء ، ويغفر الله له) ؟ وما كاد عثمان يسمع نداء الرسول ﷺ هذا حتى سارع إلى مغفرة من الله ورضوان . وهكذا وجدت العسرة الضاغطة « عثمانها » المعطاء ^(١) وقام - رضي الله عنه - بتجهيز الجيش كله ، حتى لم يتركه بحاجة إلى خطاب أو عقاب .

يقول ابن شهاب الزهري :

(قدّم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيراً ، وستين فرساً أتم بها الألف ، وجاء عثمان إلى رسول الله في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبهها بين يديه ، فجعل الرسول يقبلها بيده ويقول : (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين) ^(٢) .

يقول عبد الرحمن بن عوف : شهدت رسول الله ﷺ وقد جاءه عثمان في جيش العسرة بسبعائة أوقية من الذهب .

(إنه يبدو وكأنه الممول الوحيد للأمة الجديدة !! . ومضى الرسول ﷺ على رأس جيشه حتى وصلوا موطناً يُدعى تبوك في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق .. وهناك جاءت الأنباء مبشرة بأن هرقل الذي كان يعد العدة للزحف من دمشق ، قد ثلم الله عزمه ، وغادر دمشق نافضاً يديه من محاولته اليائسة بعد أن علم بخروج النبي وأصحابه إليه . ورجع الجيش بكل عتاده الذي أمده به عثمان .. فهل استرجع من ذلك شيئاً .. ؟

كلا .. وحشاه أن يفعل .. وقد ظل كما كان دوماً سريع التلبية لكل إجابة من النبي ﷺ تعنى جديداً من البذل ، ومزيداً من العطاء ^(٣) .

ولقد كان الصحابة يعرفون لعثمان فضله وسابقته وبلائه ، عن أبي حازم قال :

(١) انظر تفصيل ذلك في فتح الباري ٦٧/٧ ، وانظر خلفاء الرسول ٢٥٠ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ٢٩٢٠ وانظر خلفاء الرسول ٢٥١ .

(٣) خلفاء الرسول ٢٥١ وما بعدها .

(كنت عند عبد الله بن عمر فذكر عثمان فذكر فضله ، ومناقبه ، وقرباته حتى تركه أنقى من الزجاجة ، ثم ذكر على فذكر فضله ، ومناقبه ، وقرباته حتى تركه أنقى من الزجاجة ، ثم قال: من أراد أن يذكر هذين فليذكرهما هكذا أو فليدع)^(١) .

● ومن مناقبه :

أنه كان سمحاً في بيعه وشرائه ، سهلاً في تعامله مع الناس ، فلقد ابتاع حائطاً من رجل فساومه حتى قاومه على الثمن الذى رضى به البائع فقال : أرنا يدك . فقال الرجل : لا أبيعك حتى تزدنى عشرة آلاف ، فالتفت عثمان إلى عبد الرحمن بن عوف فقال : قال رسول الله ﷺ : (أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً ، بائعاً ومشترياً)^(٢) . اذهب فقد زدتك العشرة آلاف لاستوجب بها الكلمة التى سمعتها من رسول الله ﷺ .

● ومن مناقبه : (أنه ممن صلى القبلتين ، وهاجر المهجرتين ، وقتل مظلوماً فأوتى من الأجر كفلين كان يسمى اللين الرحيم ، المتعفف العفيف ، أمير البررة ، خير الخيرة ، وقتيل الفجرة ، سُل سيف الفتنة بقتله ولم يُحمد بعد.. كانت الخيل البلق فى أيامه مشهودة ، فلما قتل عثمان صارت مفقودة)^(٣) .

● ومن مناقبه ما رواه أهل السير من أنه حدث قحط فى زمان أبى بكر فقال الخليفة لهم : إن شاء الله لا تمسون غداً ، حتى يأتىكم فرج الله . فلما كان الصباح قدمت قافلة لعثمان ، فغدا عليه التجار ، وسألوه أن يبيعهم قافلته ، فسألهم : كم تربحوننى ؟ قالوا : العشرة اثنى عشرة ، قال : قد زادنى .. قالوا : فالعشرة خمسة عشرة ، قال : قد زادنى ، قالوا : من الذى زادك ، ونحن تجار المدينة ؟ قال : إنه الله .. زادنى بكل درهم عشراً ، فهل لديكم أنتم مزيد ؟ فانصرف التجار عنه ، وهو ينادى : اللهم إنى وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن وبلا حساب !!

(.. وهكذا كانت شخصية عثمان - رضى الله عنه - أعظم مظهر للإنسانية النبيلة فى أسمى جوانبها ، وأصفى خصائصها .. وهكذا تلاءمت هذه الشخصية الكريمة بمقوماتها الفذة مع روح الإسلام الجياشة بعواطف البر والرحمة فتفتحت لها القلوب العارفة بقدر الرجال .

(١) تاريخ دمشق لابن عساکر ٤٩٩/٣٩ .

(٢) تاريخ دمشق ٢٣١/٣٩ والحديث فى صحيح سنن ابن ماجه برقم ١٧٨٩ .

(٣) معرفة الصحابة ٢٤٢/١ وما بعدها .

وأحب المسلمون عثمان حباً لم يظفر به إلا آحاد الناس في فترات التاريخ . ولم يبغض عثمان إلا منافق خبيث الطوية ، أو جاهل لم يعرف قدره ومكانته (١) .

● زهده وتواضعه ●

(.. وتأتلى روح العابد الآواب على الزهد والبساطة ، فكثيراً ما كان يطبقها على حياته وهو الذى تتدفق عليه الأموال ، وينفقها باليمين وبالشمال .. فقد كان يطعم الناس طعام الإمارة ، ويأكل هو الخل والزيت) (٢) ، ودُعيا عمر وعثمان إلى طعام فلما خرجا قال عثمان لعمر : قد شهدنا طعاماً لوددنا أننا لم نشهده ، قال عمر : لِمَ قال عثمان : إننى أخاف أن يكون قد صنع مباهاة .

● وعن عبد الله بن شداد قال : رأيت عثمان يخطب يوم الجمعة وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم .. وإنه يومئذ لأمير المؤمنين !!

(.. هذا سلوك عابدٍ آواب ، أضوى شهوة الطعام لديه حتى بشت (٣) بالصيام . وأذل نخوة الجاهلية في عروقه . حتى عزت نفسه بروعة الإسلام ومن أى النواحي جئته ، ألقيت جلال العابد يبهر محياك ..) .

● يغضب يوماً على خادم له فيفرك أذنه حتى يوجعه .. ثم سرعان ما يقض ضمير العابد مضجعه ، فيدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه فيفرك أذنه .. ويأبى الخادم ويولى مدبراً . لكن عثمان يأمره في حزم فيقطع اشدد ياغلام ، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة ، إنه العابد الآواب كما نلقاه في كل مقام .. (٤) .

(.. وندخل معه مسجد المدينة ، فنرى رجلاً أثر الحصا في جنبه .. إنه العابد الزاهد عثمان ابن عفان ..)

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة د/ محمد أنخزون ٢ / ٣٩١ .

(٢) أحمد في الزهد ١٦٠ ، وانظر خلفاء الرسول ٢٥٥ وما بعدها .

(٣) راجع لسان العرب ١٢ / ٥٠ مادة بشم . وانظر خلفاء الرسول ٢٥٩ .

(٤) خلفاء الرسول ٢٥٩ .

● فعن الحسن أنه سُئل عن القائلين في المسجد قال : (رأيت عثمان يُقيل في المسجد ، وهو يومئذ خليفة ، ويقوم وأثر الحصباء في جنبه قال : فيقال هذا أمير المؤمنين ، هذا أمير المؤمنين) (١) .

(.. ورؤى عثمان على بغلة وخلفه عليها غلامه نائل وهو خليفة .. ومن التصرفات اليسيرة إلى التصرفات التي ترتبط بالمصير ويتوقف عليها أمر الحياة والموت ، فعثمان الذي ينهض من الليل - وهو خليفة - فيرفض أن يوقظ أحداً من خدمه كي يعد له وضوءه ، ويتحامل على شيخوخته المجهدة في إحضار الماء واسباغ الوضوء . عن عبد الله الرومي قال : (كان عثمان - رحمه الله - إذا قام من الليل وأخذ وضوءه ، قال : فقال له أهله : ألا تأمر الخدم يعطونك وضوءك ؟ قال : لا ، إن النوم لهم يستريحون فيه) (٢) .

● خلافته ●

(.. أبى أمير المؤمنين « عمر » وهو يجود بأنفاسه الطاهرة أن يستخلف أحداً وحين ألح عليه بعض أصحابه كي يختار بنفسه من يخلفه استمسك بإبائه ورفضه وقال لهم : « أحمل أمركم حياً وميتاً .. ؟ وددت أن يكون حظى منكم الكفاف لا على ولا لى .. ألا إني إن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى - يقصد أبا بكر - وإن أترك ، فقد ترك من هو خير منى - يعنى رسول الله - والله حافظ دينه !!

وَوَلَّى روحه الضاربة شطر الله الرحيم العليم ، يسأله أن يلهمه الرشد ، وأسبل جفنيه وأعمل فكره .. وعلى الفور لاح له من الله نور ، وكأنها تذكر ذلك اليوم البعيد القريب ، وقد أرهفوا السمع لرسولهم الكريم يعظهم ويناديهم قبل وفاته بأيام : أيها الناس : إن أبا بكر لم يسؤنى قط ، فاعرفوا ذلك له .. أيها الناس إني راضٍ عن عمر ، وعلى ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن مالك ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمهاجرين ، فاعرفوا لهم ذلك .. على وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف .. ما أجملها من ذكرى تعود الآن في أوانها (٣) .. فليكن لهؤلاء الستة عاقبة الأمر الذى يشغل الأمير المحتضر .. وليضع في أعناقهم

(١) أحمد في الزهد ١٥٨ وانظر خلفاء الرسول ٢٦٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) خلفاء الرسول ٢٦١ وما بعدها .

مجمعين ، الأمانة التي حملها طوال سني خلافته .. وهكذا جمعهم حوله ، ووجه إليهم الحديث :

.. إنني نظرت فوجدتكم القادة .. ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وقد قبض رسول الله وهو عنكم راضٍ ، وإنني لا أخاف الناس عليكم ، ما استقمتم فإذا أنا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، ولا يأت اليوم الرابع إلا عليكم أمير منكم ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية .. فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن ابن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، قال الزبير قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن . فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه ، والله عليه والإسلام لينظرون أفضلهم في نفسه ؟ فأسكت الشيخان . فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إلى الله وإلى الله على أن لا ألو عن أفضلكم ؟ قالوا : نعم ، فأخذ بيد أحدهما فقال : لك قرابة من رسول الله والقدم في الإسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن وتطيعن . ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايع له على ، وولج أهل الدار فبايعوه^(١) .

(.. وهكذا مُلِحَ « عثمان » أثقال الخلافة .. حملها وهو على وشك أن يستقبل السبعين من عمره .. ترى هل كان بها حفيًا ، وعليها حريصًا ؟ .. إن سن السبعين ، فيها نعلم ، ليست السن المناسبة للطموح ، فكيف وصاحب هذه السن رجل يسيطر الحياء على حياته ، والحياء يدفع أصحابه دائماً إلى الظلال .

أغلب الظن أن « عثمان » تلقى البيعة وهو يرتجف ، ولعل ما يشير إلى هذا المعنى أنه بعد تلقيه البيعة من أهل الشورى توجه إلى المنبر وعلى مُحيّاه اكتئاب .. ولعل هذه الخشية من عظم المسئولية هي التي أمسكت لسانه عن الافاضة في أول خطبة ألقاها . فاكتمى بأن حذر الناس من الدنيا وغرورها ، ورغبهم في الآخرة وحبورها ..)^(٢) .

ولقد كانت بيعة عثمان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين .

(١) البخاري ٣٧٠٠ وهو جزء من حديث طويل ، وانظر خلفاء الرسول ٢٦١ وما بعدها .

(٢) خلفاء الرسول ٢٧٣ .

● حدث في خلافته ●

استقبل عثمان بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين ، وفي هذه السنة فتحت الرى ، وكانت فتحت وانتقضت ، وفيها أصاب الناس رُعاف كثير ، فقليل لها سنة الرعاف وأصاب عثمان رُعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى . وفيها فتح من الروم حصون كثيرة ، وفيها ولى عثمان الكوفة سعد بن أبى وقاص وعزل المغيرة .

● وفي سنة خمس وعشرين : عزل عثمان سعدًا عن الكوفة ، وولى الوليد بن عقبة ، وهو صحابى ، أخو عثمان لأمه .

● وفي سنة ست وعشرين : زاد عثمان فى المسجد الحرام ووسعه ، واشترى أماكن للزيادة ، وفيها فتحت سابور .

● وفي سنة سبع وعشرين : غزا معاوية قبرص ، فركب البحر بالجيوش ، وكان معهم عبادة بن الصامت وزوجته - أم حرام بنت ملحان - فسقطت عن دابتها فماتت شهيدة هناك - وكان الرسول ﷺ أخبرها بهذا الجيش ودعا لها بأن تكون منهم فدفت بقبرص - وفى هذه السنة عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فغزا أفريقية فافتتحها سهلاً وجبلاً ، فأصاب كل إنسان من الجيش ألف دينار ، ثم فتحت الأندلس فى هذا العام .

● وفي سنة تسع وعشرين : فتحت إصطخر ، وفيها زاد عثمان فى مسجد المدينة ووسعه ، وبناء بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة وسقفه بالساج وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين مائة .

● وفي سنة ثلاثين : فتحت جور وبلاد كثيرة من أرض خراسان ، وفتحت نيسابور صلحاً وقيل عنوة ، وطوس ، ومرخس ومرو ، وبيهق ، ولما فتحت هذه البلاد الواسعة كثر الخراج على عثمان ، وأتاه المال من كل جهة ، حتى اتخذ له الخزائن وأدّر الأرزاق ، وكان يأمر للرجل بمائة ألف بدره فى كل بدره أربعة آلاف أوقية .

● وفي سنة إحدى وثلاثين : توفى أبو سفيان بن حرب والد معاوية ، وفيها مات الحكم بن أبى العاص عم عثمان .

● وفي سنة اثنتين وثلاثين : توفي العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وصلى عليه عثمان ، وفيها توفي عبد الرحمن بن عوف ، وفيها مات عبد الله بن مسعود الهذلي أحد القراء الأربعة ، وفيها مات أبو الدرداء الخزرجي ، وولى قضاء دمشق لمعاوية ، وفيها مات أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ، وفيها مات زيد بن عبد الله بن عبد ربه الأنصاري الذي أرى الأذان .

● وفي سنة ثلاث وثلاثين : توفي المقداد بن الأسود في أرضه بالجرف ، وحمل إلى المدينة وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الحبشة .

● وفي سنة أربع وثلاثين : أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص ورضوا بأبي موسى الأشعري .

● وفي سنة خمس وثلاثين : كان مقتل عثمان !!!

● من أقواله وكلماته الخالدة ●

● لقد كان - رضي الله عنه - يحمل إشفاقاً من الآخرة فنراه يقول : اتقوا الله . فإن تقوى الله غنم - وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واكتسب من نور الله نوراً لقبره .. وليخش عبداً أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً .

● وعن سفيان بن عيينه قال : قال عثمان : لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل . وكان يقول ... وما أحب أن يأتي عليّ يوم ولا ليلة إلا وأنظر في الله يعني القراءة في المصحف .

● الفتنة الكبرى ومقتل عثمان ●

ما كنت أحب الخوض في هذا الموضوع .. فهو موضوع صعب وشائك .. وقد زلت في الكتابة عنه أقلام وأقلام ، واختلط الصحيح بالسقيم ، والغث بالسمين ، وبيات حقيقة هذه الفتنة غائبة عن بال الكثيرين !

(.. فالفتنة التى انتهت باستشهاد الخليفة « عثمان » كانت فتنة هوجاء ، فاقت فى ضراوتها ما كان قبلها ، فالخليفة لا يقتل فى الغلس ، كما كان الأمر مع عمر ، وإنما يقتل فى وضح النهار ، ثم تعصف الفتنة بالمسلمين مرة أخرى فتبلغ غايتها فى معركتى « الجمل » و « صفين » وأخيراً يستشهد أمير المؤمنين على كما استشهد الخليفان قبله ^(١)).

فالموضوع قد تناولته أقلام من شتى المشارب - كما سبق - واستغلت تلك الأحداث للطعن فى الإسلام والنيل من أعراض الصحابة الكرام .. فإذا كان ذلك كذلك ، بان لنا أن الحديث فى هذا الموضوع من الصعوبة بمكان حقاً !!
ولنبداً من البداية(*) :

الاتهامات التى وجهت إلى عثمان - رضى الله عنه :

لقد وجهت إليه عدة اتهامات ^(٢) زوراً واستغل مثيرى الفتنة هذه الاتهامات للتشهير بالإمام والنيل منه ، ومن هذه الاتهامات :

١ - اتهامه بأنه حمى الحمى ، وأمر باحراق المصاحف ، وجمع القرآن فى مصحف واحد .

(.. أما الاتهام الموجه إليه بأنه حمى الحمى ، فيقول عثمان : وإنى والله ما حميت حمى قبلى ومالى من بغير غير راحلتى ، وما لى ثاغية ولا راغية ، وإنى قد وليت وأنا أكثر العرب بغيراً وشاة ، فما لى اليوم شاة ولا بغير غير بغيرين لحجى ^(٣) . ويقول الإمام على : أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لإبله ولا غنمه وقد حما عمر قبله ^(٤)).

(وفى عهد رسول الله ﷺ كان الحمى ، .. وإذا كان رسول الله قد حمى والدولة لا تزال ناشئة ، فمن المعلوم أن يكون أبو بكر قد حمى ، سيما وقد زادت الحاجة إلى الخيل والإبل ، ولأن

(١) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام / سليمان العودة ٥ ، ٦ .
(*) فى حديثنا عن الفتنة الكبرى ومقتل عثمان رجعنا إلى كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام ونقلنا منه كثيراً من النصوص وهذا للأمانة العلمية والحقيقة أن الكتاب جدير بالقراءة والاقتناء .
(٢) تبلغ هذه الاتهامات ثمانية عشر اتهاماً ، راجع ذلك فى العواصم من القواصم ٥٦ . وما أثبتته منقول عن كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام د/ العودة .
(٣) الطبرى ٤ / ٣٤٧ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ ١١٧ .
(٤) البداية والنهاية ٧ / ١٨٧ .

أبا بكر لم يخرج عن شيء كان الحال عليه زمن النبي ﷺ. إذن فلم يكن عثمان أول من حمى ، أما زيادته فيه فهو أمر جائز ، لأن ما جاز أصله للحاجة ، جازت الزيادة عليه لحاجتها (١).

(.. أما الاتهام الموجه بأنه أمر بإحراق المصاحف وجمع الناس على مصحف واحد .. فالذي حرّق عثمان ما وقع فيه الاختلاف ، أما المتفق عليه ، فقد أبقاه لهم ، ولم يثبت عن عثمان أنه حرّق غير ذلك من المصاحف) (٢).

(على أن العلماء العارفين اعتبروا من جمع عثمان للقرآن في مصحف واحد منقبة كبرى تضاف إلى مناقبه الأخرى (٣) ، وفوق هذا لم يكن هذا العمل من عثمان تصرفاً فردياً ، بل كان رأى كثير من الصحابة ، فكان على يقول - أيها الناس - : إياكم والغلو في عثمان تقولون حرّق المصاحف والله ماحرقها إلا عن ملاء من الصحابة ولو وليت مثل ما ولى لفعلت مثل الذي فعل) (٤).

٢ - الاتهام الموجه إليه بأنه استعمل الأحداث وولى أقاربه (*) :

(وهذا الاتهام أيضاً ليس له ما يبرره ، وها هو عثمان يقول : ولم أستعمل إلا مجتمعاً محتملاً مرضياً ، وهؤلاء أهل علم فسلوهم عنه ، وهؤلاء أهل بلدة ، ولقد ولى من قبلى أحدث منهم ، وقيل فى ذلك لرسول الله أشد ما قيل فى استعماله أسامة ..) (٥) ، ويقول على : لم يول إلا رجالاً عدلاً ، وقد ولى رسول الله عتّاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة (٦).

(وإن كان من صلب المأخذ عليه فى توليه أقاربه أو فى غيرهم ، فلم يكن عثمان أول من ولى أقاربه ، وقد قال على : إنّ رسول الله يؤثر قريشاً على الناس ، ومن بعد ولى على أقاربه من قبل أبيه وأمه ، وإذن فليس هناك من متعلق على عثمان فى توليه من ولى دون أن يثبت فسقهم ،

(١) العواصم من القواصم ٨٤ ، ٨٥.

(٢) التمهيد للباقلانى ١٢٠ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١١٨ .

(٣) العواصم ٨٠ ، ٨١ .

(٤) البداية ٧ / ٢٣٦ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ ١١٩ .

(*) منقول بنصه عن كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٩٩ .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه .

وإقرار عثمان لهم على الفسق ، كيف وقد كانوا أهل نجدة وكفاية وبصر بالإمرة وقدرة عليها !!^(١).

٣ - اتهمه بأنه ضرب عمار حتى فتق أمعاءه ، ولابن بن مسعود حتى كسر أضلاعه ونفيه أبا ذر إلى الربذة^(*) :

فقد قال ابن العربي المالكي في العواصم : (إن ذلك إفك وزور ، وإنه لا ينبغي للعلماء أن يشغلوا أنفسهم ببعض المعاذير المبنية على الباطل ، لأن في ذلك إذهاباً للزمان في مجارة الجهال ..) .

ولنا أن نقف وقفة ونتساءل : كيف يتسنى لعمار أن يعيش وقد فتقت أمعاءه وكذا ابن مسعود بعد أن كسرت أضلاعه - كما زعموا - إن هذه الأخبار لا تثبت فهي مروية عن طريق أبي مخنف لوط بن يحيى وهو شيعي محترق تالف !!^(٢) . وأما ما وجه إليه من اتهام بأنه نفى أبا ذر إلى الربذة فهذا اتهام باطل ولا أساس له من الصحة ، وإنما رغب في النزول إلى الربذة بنفسه ، فقد استأذن من عثمان في الخروج إلى الربذة لأن رسول الله ﷺ أوصاه إذا بلغ البناء سلماً أن يخرج من المدينة فأجاب عثمان إلى ذلك ، وأقطعه صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين ، وأرسل إليه ألا ينقطع عن المدينة فيعود وأعرابياً ففعل^(٣) .

قال ابن سيرين : (خرج أبو ذر إلى الربذة من قبل نفسه لما رأى عثمان لا ينزع إليه)^(٤) ، ولقد كان يجب الخلوة والوحدة كما يقول ابن عباس ، وبعد أن نقل الطبري هذه الأخبار التي تفيد اعتزال أبي ذر بنفسه قال : (وأما الآخرون فإنهم رووا في ذلك أشياء كثيرة من أمور شنيعة كرهت ذكرها)^(٥) .

(١) التمهيد ٢٢٤ نقلاً عن كتاب عبد الله سبأ ١٢٥ .

(٢) منقول عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٢٦ .

(٣) عبد الله بن سبأ ص ١٢٩ .

(٤) الطبري ٤ / ٢٨٤ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ / العودة ١٢٩ .

(٥) الطبري ٤ / ٢٨٤ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في إحداه الفتن ١٢٩ .

(٥) نفسه .

وقال ابن الأثير^(١): إن ما نسب إلى عثمان في ذلك - تسيير أبي ذر - لا يصح النقل به ، ولو صح لكان ينبغي أن يعتذر لعثمان .

ويقول صاحب التمهيد^(٢): (.. بل هو من أكاذيب الرافضة قبحهم الله) هذه أبرز الاتهامات التي نسبت إلى عثمان ، وقد أجاب على بعضها عثمان وفند بعضها من عايش عثمان من الصحابة ، والبعض الآخر لا يصح نقله ولا يستقيم إسناده ، بل إن المتأمل فيها لا يجد فيها اتفاقاً للصحابة أو للتابعين ، وإنما صدرت من طوائف لا تميل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ويمكن القول بأن الاتهامات تولى إشاعتها جماعة مشبهين كابن سبأ وأتباعه ثم استغلت إبان هيجان الفتنة لصالح الموتورين^(٣) .

جاء في تاريخ الطبرى: أن قومًا قالوا: نريد أن نذكر لعثمان أشياء قد زرعتها في قلوب الناس ثم نرجع إليهم فنزعم أنها قرنها بها فلم يخرج منها ولم يتب .

● بؤادر الخلاف وسياسة عثمان إزائه^(٤) ●

(لئن كانت هذه الاتهامات التي - قدمنا بعضًا منها - لم تكن لتبلغ غايتها في التأثير في طبقة الصحابة ، فقد وجدت آذانًا صاغية ، وحركت فئات من الناس اجتمعت لديها مع رغبات النفس ، مؤشرات أثارتها ، وتمخضت عن بؤادر خلاف سادت معظم أقاليم الخلافة ، ولم تكن هذه البؤادر كلها نتيجة لهذه المآخذ ، بل كان منها ما كانت تدفعه عوامل طبيعية ، ويذكر بجانبيه أسباب معروفة . فماذا كان من ذلك ؟

١ - من بؤادر الخلافة في الكوفة^(٥) :

(وهى أول مصر نزع الشيطان بين أهله - في الإسلام - فمن ذلك ما وقع بين عبد الله ابن مسعود وسعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهما - حينما طلب ابن مسعود من سعد أن يؤدى

(١) الكامل ١١٤ / ٣ نقلًا عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٣٠

(٢) التمهيد ٣٠ نقلًا عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٣٠ .

(٣) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ١٣٠ .

(٤) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ١٣٢ .

(٥) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ١٣٢ .

ما اقترضه من بيت المال ، وحين لم يتيسر له قضاؤه فتقاولا ووقعت بينهما خصومة وصل خبرها إلى عثمان فعزل سعدًا - وكان على الكوفة - وولى مكانه الوليد بن عقبة ٣٠هـ ، وأثناء ولاية الوليد على الكوفة نقَّب شباب من أهل الكوفة على (الحيسان الخزاعي) ، وكان ذا ثروة ثم قتلوه .. ورفع الوليد أمرهم إلى عثمان فأمره بقتلهم فقتلوا (١).

(وبعد الوليد وليَّ عثمان على الكوفة سعيد بن العاص - فهل فترت حدة الخلاف ؟! جلس سعيد بن العاص يومًا ، فدخل عليهم جمع فيهم الأشتر النخعي وابن ذى الحبة وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وفيهم خنيس بن حبيش وابنه عبد الرحمن وغيرهم ، وبينما هم يتحدثون قال خنيس ما أجود طلحة بن عبيد الله ! فقال سعيد : إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جوادًا - يعنى ما كان لآل كسرى على جانب الفرات - فثار عليه القوم الأشتر ومن معه ، وقالوا : فض فوك والله لقد هممنا بك ، فقال أبوه : لا يتمنى لنا ولا له ، ثم قالوا : أنت أمرته بذلك وثاروا إليه ، فحاول أبوه منعهم ، فضربوهما حتى غشى عليهما ، وتأثر للحادثة أهل الكوفة عامة وبنو أسد خاصة ، وكتب أشرافها إلى عثمان باخراجهم ، فكتب إليهم أن إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية في الشام ، وكتب إلى معاوية : إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرًا خلقوا للفتنة فارعمهم وقم عليهم ، فإذا آنست منهم رشدًا فاقبل منهم وإن أعيوك فارددهم عليهم (٢).

٢ - بوادر الخلاف في الشام (٣) :

(وفي الشام لم يكن هناك من خلاف يصل إلى مستوى ما وصل إليه الأمر في الكوفة .. والذي يذكر هنا من بوادر الخلاف بين ما كان من أبى ذر ومعاوية ، وهو أمر يختلف في طبيعته وأسبابه عن غيره .. يقول أبو ذر :

كنت بالشام فاختلف أنا ومعاوية في ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ .. [جزء من آية التوبة رقم ٣٤] . فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب ، فقلت - أى أبو ذر : نزلت فينا وفيهم ، فكان بينى وبينه في ذلك ، وكتب إلى عثمان يشكونى .

(١) نفسه .

(٢) الطبرى ٣١٨ / ٤ نقلًا عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٣٦ .

(٣) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ١٣٩ .

(وهكذا يتضح أن أسباب الاختلاف إنما كانت نتيجة اختلاف الفهم حول مدلولات النص ، ولم تكن تدفعها الرغبات الشخصية ، أو التهيؤ للفتنة .. أما موقف عثمان وقد آل الأمر إليه ، فهو يكتب إلى أبي ذر بالقدوم عليه ، وحينما قدم لم يحتق عليه من مخالفته له في تأويله ولم يلزمه بالخروج إلى الربذة أو إنما غاية ما . قاله : إن شئت تنحيت فكنت قريباً .. وهذه التنحية لا تعنى تسير أبي ذر إلى الربذة بقدر ما تعنى توخى عثمان صالح الأمة ، وألا يستغل موتور صدق لهجة أبي ذر فيسعى بالفتنة ، ومما يؤكد هذا ما ذكره البلاذري^(١) أن عثمان قال لأبي ذر حين قدم من الشام : قربنا يا أبا ذر خير لك من بعدنا يغدى عليك باللقاح ويراح ، فقال : لا حاجة لي في دنياكم ، ولكن آتى الربذة فأذن له في ذلك فأتاها ومات بها^(٢) وقد أنكر سعيد بن المسيب على من قال أن عثمان أخرج أبا ذر إلى الربذة ، وقال إنما خرج إليها أبو ذر راغباً في سكنائها ، ويكفى أن يسجل التاريخ لأبي ذر امتثاله لأمر الخليفة وعامله وهو يرد على الذين حاولوا إيقاع الفتنة بينه وبين الخليفة ، حين قالوا له : فعل هذا الرجل ما فعل - يعنون عثمان - فهل أنت ناصب لنا راية فتجتمع إليك الرجال فيرد عليهم أبو ذر : لو أن عثمان صلبني على أطول جذع لسمعت وأطعت واحتسبت وصبرت ، فإنه من أذل السلطان فلا توبة له فرجعوا^(٣) .

٣ - بوادر الخلاف في مصر^(٤) :

(وهنا يذكر ما حصل من محمد بن أبي حذيفة وما دعاه إلى الخروج على عثمان ، فقد سئل سعيد بن المسيب عن ذلك فقال :
كان محمد بن أبي حذيفة يتيماً في حجر عثمان ، ثم سأل الولاية - حين ولى الخلافة - فأجاب عثمان : أن لست هناك فما احتملها ، وطلب منه الاذن بالخروج فأذن له بالذهاب حيث شاء وجهزه من عنده ، فلما وقع في مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية وصار من أشد الناس تأليباً على عثمان^(٥) .

(١) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ١٣٩ .

(٢) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ١٣٩ .

(٣) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ١٣٩ .

(٤) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ١٣٩ .

(٥) الكامل ٣ / ١٨١ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٤٢ .

● عبد الله بن سبأ وأثره في إذكاء الفتنة^(١) ●

(هكذا كان الحال في الدولة الإسلامية إبان خلافة عثمان إلى أن جاء دور عبد الله بن سبأ وكان له أكبر الأثر في الفتنة التي نعانى منها حتى الآن ، ولكن من هو عبد الله بن سبأ ؟

كان عبد الله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء ، أمه سوداء - فأسلم زمن عثمان - ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم ، وبدأ نفثاته المسمومة بهذه العبارة : « إن لكل نبيًا وصيًا ، وإن عليًا وصي رسول الله ﷺ ولقد وثب عثمان على أمر هذه الأمة ، وأخذ الحق من صاحبه ، وخلال رحلاته إلى مصر والتي استقر بها طويلاً اصطفى من المفتونين به أنصارًا وحواريين ، أطلقهم هم الآخرين ليطوحوا بفتنته في الآفاق ، ورسم لهم منهجهم في هذه الكلمات : تظاهروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس إليكم .. وابدأوا بالطعن في أمرائكم وقولوا للناس إن عثمان قد أخذ الخلافة بغير حق .. وإن عليًا وصي رسول الله ، فانهضوا وردوا الحق إلى صاحبه فبث دعائه وكاتب من استفسد في الأمصار وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يسدون فيقول أهل كل مصر إننا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا إننا لفي عافية مما فيه الناس .. فأتوا عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا ، والله ما جاءني إلا السلامة . قالوا : إننا قد آتانا ، وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم ، قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين ليروا علي ، وقالوا نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك نبارهم ففعل ..^(٢) .

(١) منقول بنصه من كتاب عبد الله بن سبأ ١٤٢ .

(٢) منقولة من كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة بتصرف .

● تصاعد الفتنة ومقتل عثمان (١) ●

(إن بوادر الخلاف التي نجمت ، ومجمل عوامل الفتنة التي نشأت كانت بمثابة فتيل ، جاء ابن سبأ وأعوانه ليشعلوه ، ودخلت سنة ٣٤ هـ ، وهي السنة التي تكاتب فيها المنحرفون عن عثمان لمناظرته .. وتكاتفت الأحداث ، فالكوفة تخلو من الرؤساء إلا منزوعاً أو مفتوناً ، ويخرج منها يزيد بن قيس فيدخل المسجد منادياً بخلع عثمان ويثوب إليه أصحابه .. ممن كان ابن السوداء يكاثرهم ، وينكر العارفون من أهل الكوفة عليهم ، ويحدد القعقاع بن عمرو تحجيم فتنتهم : هيهات هيهات ، لا والله لا تسكن الغوغاء إلا المشرفة ؛ .

وفي مصر - وربما غيرها - تزور الكتب على السنة الصحابة بقتل عثمان (٢) ، وسارت الفتنة في أقاليم الخلافة سريان النار في الهشيم ، وكتب عثمان إلى أهل الأمصار ، فهزت كلماته مشاعرهم وربما أبكت البعض الكثير منهم ، وأدرك الناس ، أن الأمة تتمخض بشر ، واستلزم هذا خطوة أخرى يقوم بها عثمان ، فأرسل إلى عماله أن يوافوه في الموسم ، فحضر إليه معاوية وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأخبرهم بما صنع الناس ، وما شكوا به إليه ، وطلب منهم - وهم وزرأوه ونصحاؤه - أن يجتهدوا في آرائهم ويشيروا عليه ، فكان رأى عبد الله بن عامر : أن يأمر الناس بالجهاد ، ويجمهرهم في المغازي حتى لا يتعدى هم أحد قمل فروه ، ودبره دابته ، وأشار عليه معاوية بأن يرد عماله على الكفاية لما قبلهم ، أما سعيد بن العاص فكان رأيه أن يقتل قادة هؤلاء فيتفرق أذنانهم ، فالأمر يصنع بسر ، ولا ذنب للعامة الذين يتحدثون بما يسره إليهم ، وأشار عليه بن أبي سرح أن يلجمهم بالمال ليعطف عليهم ، فهم أهل طمع (٣) .

وأحاط الثوار بالمدينة - للمرة الأولى - مظهرين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تلطف معهم عثمان فأجاب على تساؤلاتهم ، وقد أدرك المسلمون أنهم أصحاب شر ، فأشاروا على الخليفة عثمان بقتلهم ، وأبى عثمان إلا تركهم فانصرفوا وقد تواعدوا على المجيء في شهر شوال من السنة نفسها (٣٥ هـ) حتى يزوره وكأنهم حجاج (٤) .

(١) المصدر السابق ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) نفسه .

(٣) عبد الله بن سبأ ١٤٩ - ١٥٠ .

(٤) الطبري ٣٤٦١٤ نقلاً عن عبد الله سبأ ١٦٠ .

فلما كان الموعد ، خرج الثوار قاصدين المدينة ، وبيان ذلك بما يلي^(١) :

(سمع عثمان أن وفد مصر أقبلوا فاستقبلهم ، فقالوا له : ادع بالمصحف ، فدعاه ، فقالوا : افتح السابعة - يعنى سورة يونس - فلما قرأ ﴿ قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٥٩] أوقفوه ، وقالوا : أرأيت ما حميت من الحمى آ الله أذن لك أم على الله تفتري ؟ ثم ذكروا له أشياء أخرى ، وكلما ذكروا له شيئاً قال : امضه نزلت في كذا .. فيدفعهم إلى : المعنى المقصود منها ثم إنهم خرجوا راضين وكتبوا عليه شرطاً ، وأخذ عليهم ميثاقاً ألا يشقوا ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم ، ورجعوا راضين ، فبينما هم في الطريق إذ براكب يتعرض لهم ويفارقهم ، ثم يرجع إليهم ، ثم يفارقهم ، قالوا : ما لك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عاملة بمصر ، ففتشوه فإذا هم بكتاب من عثمان وعليه خاتمه وفيه الأمر بقتلهم ، فأقبلوا نحو المدينة فأتوا علياً فقالوا له : ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا وكذا ؟ وأن الله قد أحل دمه ، فقم إليه . قال : والله لا أقم معكم . قالوا : فلم كتبت إلينا^(٢) ؟ قال : والله ما كتب إليكم كتاباً ، فنظر بعضهم إلى بعض ، وخرج على من المدينة ، فانطلقوا إلى عثمان ، فقالوا : أنت كتبت إلينا بكذا وكذا ، فقال : انها اثنتان أن تقيموا رجلين من المسلمين ، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ، ولا أملت ، ولا علمت ، وقد يكتب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم ، قالوا : قد أحل الله دمك ، ونقضت العهد والميثاق وحاصروه في داره . ويحيط الشوار بالمدينة للمرة الثانية وعثمان غير مكترث بهم ، بل كانوا في عينه أدق من التراب ، ويمضى أسبوع على نزولهم بمسجد رسول الله ﷺ ويزداد تصاعد الأحداث ، ويبدأ اللغط يرتفع في جوانب المسجد ويتطور إلى مناوشات ، ثم إلى حصص الخليفة عثمان وهو على المنبر ، فيصرع ويحمل ثم يعود ويصلى بهم عشرين يوماً ، ويحكم الشوار الحصار وتعيش مدينة رسول الله ﷺ أياماً عصيبة ، ويبقى الصحابة في حيرة من أمر هؤلاء ، والناس بمجملهم لا يدرون ما القوم صانعون ، ولا على ما هم عازمون^(٣) .

ويحاولون عثمان أن يعزل نفسه ، فيمتنع مشيراً إلى أن رسول الله ﷺ أوصاه بعدم طاعة

(١) عبد الله بن سبأ ص ١٦٠ .

(٢) وكان قد وصلهم زوراً كتاباً عن لسان على يأمرهم بالرجوع إلى المدينة .

(٣) البداية والنهاية ٧ / ١٩١ نقلاً عن عبد الله بن سبأ ١٦٤ .

المنافقين (يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصاً فإن أرادوك خلعته فلا تخلعه لهم)^(١) . ثم يبعث عثمان إلى أهل الأمصار - يستنجدهم - ويعرفهم ما الناس فيه فيتجهزون ويخرجون على الصعب والزلول ، من مصر ، والشام ، والكوفة ، والبصرة^(٢) ، ويتناهى الخبر إلى المحاصرين فيخشون فوات الفرصة ، ويحكمون حصارهم على المدينة ، فتضيق بهم طرقاتها ويبلغ الزحام شدته في موضع الحصار ، حتى لو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل ، كما يقول بذلك من حضر الدار^(٣) . ويتسابق الصحابة بعد أن أحاط الثوار بداره ، وحاولوا عزله بل منعه مما به إليه حاجة في الدفاع عن نفسه ، ويستعينون بأبنائهم في الوقوف معه ، فإذا هو يستقبلهم ويقسم عليهم ، أن يكفوا أيديهم فيسكتوا حتى أن بعضهم لبس الدرع مرتين . وحتى أن الأنصار يسألونه أن يكونوا أنصار الله مرتين !! فيأمرهم بالكف ويقول لأحاجة لى في ذلك . ويستمر الحصار من أواخر ذى القعدة إلى الثامن عشر من ذى الحجة . ولما اشتد به وبأهله الظماً أشرف عليهم قائلاً : ألا أحد يبلغ علياً فيسقيناً ماء ؟ فبلغ الخبر علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء ، فما كادت تصل إليه إلا بجهد .

(والتف خارج الدار وحواليها صفوف عريضة من الثوار المدججين .. أما الخليفة فقد طلع عليه صباح ذلك اليوم وهو في عالم آخر ، لا يكاد يعنيه شيء من كل هذه الدنيا القائمة حوله والقاعدة .. لقد تلقى دعوة إلى الجنة .. وهو اليوم في شغل بها عن كل شيء عداها !! ففى الأمسية السالفة وبعد أن صلى من الليل ما صلى وقرأ من القرآن ما قرأ .. وألقى بنفسه بين يدي ربه ضارعاً ، أوى إلى فراشه ونام ، وفي منامه رأى الرسول ﷺ يقول له : أفطر عندنا غداً يا عثمان^(٤) ، فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : (لما حُصر عثمان في داره .. قال لى أيقظنى الليلة عند السحر ، قال : فأتيته ، فلما كان السحر قلت أمير المؤمنين : السحور يرحمك الله ، فقال : هكذا ومسح جبهته ثم قال : يا سبحان الله يا أبا هريرة يرحمك الله قطعت على رؤيا كنت فيها ، رأيت رسول الله ﷺ فقال لى إنك تفطر عندنا غداً)^(٥) .. ما أبهجها من كلمات ، بعثته في خلق جديد !!!) .

(١) الطبقات لابن سعد ٦٦/٣ نقلًا عن عبد الله بن سبأ ١٦٤ والحديث في صحيح سند الترمذى ٢٩٢٣ .

(٢) الطبرى ٥١/٤ نقلًا عن عبد الله بن سبأ ١٦٤ .

(٣) البداية والنهاية ١٩٥/٧ نقلًا عن عبد الله بن سبأ ١٦٥ .

(٤) خلفاء الرسول ٣٤٠ .

(٥) أحمد في الزهد ١٥٩ .

وإذن ، فليس أمامه سوى وقت قصير لكى يتهيا لموعد المصطفى ، ورحلة الخلود .. !!
سيترك للناس دنياهم .. وسيدع للثوار تلك الجدران الأربعة التى يحاصرونها ، منطلقاً فى عرسه
العظيم إلى رحاب الله وجوار محمد ﷺ (١).

أما عن كيف قتل ؟

فقد قتل مظلوماً ، ومن قتله كان ظالماً ، ومن خذله كان معذوراً - كما قال سعيد
ابن المسيب - يقول بن العربى المالكى فى العواصم من القواصم :

(ولما صحت إمامته - أى عثمان - قتل مظلوماً ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، وكان
السبب المؤدى إلى قتله مجموعة من الاتهامات وجهت إليه زوراً كل من رواها من الكذابين
والفسقة ومن لا يعرف حالهم) (٢) .

(ويتصور الثوار على عثمان داره ، وتتوزع رماحهم فى دماثة الطاهرة وهو الشيخ المعلق
قلبه بالله ، والمحضر وبين يديه كتاب الله !!!) (٣) .

(كان الاغتيال الخاطف قد تم بين العصر والأصيل ، وإذن ، فأمام روحه وقت كاف
لبلوغ مواعدها على مائدة الإفطار فى الجنة عند الغروب .. !!

فلتعرج إلى بارئها .. ولتذهب إلى ضيافته فى حبور عظيم .. إن رسول الله ﷺ هناك ينتظر
على شوق .. وينتظر معه أصحابه الصديق والفاروق .. لقد تعب عثمان طويلاً خلال اثنتى
عشرة سنة قضاها فى الخلافة حاملاً أعبائها ولأواءها .. أو قد ظفر بمبتغاه .. أجل .. كان
الظفر حظه ، والفوز نصيبه .. فليبق للأرض جسده مشخناً دامياً .. أو سليماً معافى .. ذلك أمر
لا يعنيه ما دامت روحه الطاهرة قد فازت بمستقبلها عند الله ..) (٤) .

(.. وتختلف الروايات فى تعيين قاتله : هل كان رومانى اليبانى ، أو سودان بن حمران ،
أو كنانة بن بشر أو أنه لم يتعين قاتله على الصحيح) (٥) .

(١) خلفاء الرسول ٣٤٠ .

(٢) راجع هذه الاتهامات فى العواصم من القواصم بتحقيق محب الدين الخطيب ٥٦ - ١٥١ .

(٣) البداية والنهاية ٧ / ١٩٥ نقلاً عن عبد الله بن سبأ ١٦٥ .

(٤) خلفاء الرسول ٣٤٣ .

(٥) البداية والنهاية ٧ / ١٩٥ نقلاً عن عبد الله بن سبأ ١٦٥ .

(والذي يهمننا أن نتعرف على هوية قاتليه ، فهم رؤس شر وأهل جفاء وأرزال أوباش ، كما قال ابن عماد الحنبلي ، وهمج رعاع من غوغاء القبائل ، وسفلة الأطراف ، كما قال النووي ، أو حثالة الناس ، ومتفقون على الشر ، كما يصفهم ابن سعد ، ويقول الزبير - رضى الله عنه - : قتله الغوغاء من الأمصار ، ونزاع القبائل ، وظاهرهم الأعراب والعبيد ^(١) ، ولكن هل كان أحد من الصحابة شريكاً في ذلك ؟ يقول الدكتور سليمان العودة في كتابه القيم « عبد الله ابن سبأ وأثره في أحداث الفتنة » : (ولعله بعد هذا لا يبقى مكان للروايات التي تشرك الصحابة في دم عثمان ولا لبعض الأخبار التي تقول أنه جد في أمر عثمان طلحة والزبير) ، كيف وقد سئل الحسن : أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار ؟ قال : لا ، كانوا أعلاماً من أهل مصر .. ويستطرد دكتور العودة فيقول : (وإذا كان لقائل أن يقول : كيف قتل عثمان ، وفي المدينة جمع من كبار الصحابة ؟ وهو سؤال وضعه ابن كثير ثم أجاب عليه بعدة أمور منها :

- ١ - أن كثير منهم ، بل أكثرهم ، أو كلهم لم يعلموا أن الأمر سيبلغ قتله .
 - ٢ - أن الصحابة مانعوا عنه أشد الممانعة ، فلما كان التضييق عزم عليهم بوضع أسلحتهم والخروج إلى منازلهم .
 - ٣ - أن الثوار اغتتموا فرصة غياب كثير من أهل المدينة في الحج ، وعجلوا عثمان قبل قدوم أهل الأمصار عليه .
 - ٤ - كان المحاصرون قريباً من ألفى مقاتل من الشجعان ، وأهل المدينة كلهم ربما لا يبلغون هذا الرقم لتوزيعهم في الثغور والأقاليم ، وكما يقول الدكتور العودة .
- (وبالجملية فهي فتنة قدرها الله ، وبوحى منه ، أخبر عنها رسول الله ﷺ وهو يبشر عثمان على بلوى تصيبه ^(٢) .

● ففي الحديث عن أبي موسى - رضى الله عنه - وفيه : (.. فجاء إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان ، فقلت : على رسلك . فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : أئذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه .. ^(٣) .

(١) انظر عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ١٦٦ .

(٢) نفسه .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٣٦٩٥ .

ولقد كان عمر سبب انتشار هذه الفتنة ، كما يقول ابن كثير ، أما وقد كسر الباب ، واستشهد عمر ، فما بقي إلا أن يصدق خبر المصطفى في الفتنة التي تموج موج البحر . عن شقيق قال : سمعت حذيفة يقول : (بينما نحن جلوس عند عمر إذ قال : أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة ؟ قال : فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال : ليس عن هذا أسألك ، ولكن التي تموج موج البحر فقال : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً . قال عمر : أيكسر الباب أم يفتح ؟ قال : يكسر ، قال عمر : إذاً لن يغلق أبداً ، قلت : أجل . قلنا لحذيفة : أكان عمر يعلم الباب ؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دون غد ليلة وذلك أنى حدثته حديثاً ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله مَنْ الباب ؟ فأمرنا مسروقاً فسأله ، فقال : من الباب ؟ قال : عمر^(١) ، وبيتلى بالفتنة عثمان فيصبر لها ويحتسب أجرها منذ علم عثمان خبرها وهو يقول : اللهم صبراً ، ثم يصبر عليها وقت هيجانها ويقول : (إن رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها ..)^(٢) .

● بعد هذا كله - وكما يقول دكتور العودة^(٣) - علنا ، قد عرفنا ملابسات الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان ، فقد ابتدأت بآخذ كانت تكمن خلفها بواعث الفتنة ، ثم تبلورت على شكل بوادر خلاف شملت معظم أقطار الخلافة ، ثم كان لابن سبأ دور في استغلال أجواء الفتنة ، ووأخيراً تصاعدت الأحداث ، وأقبل الثوار - وفيهم ابن سبأ - ومن كان يكاتبه وانتهى الأمر باستشهاد الخليفة ، فله الأمر من قبل ومن بعد !!

وهكذا كان مقتل عثمان باباً لسلسلة من الفتن التي امتدت حلقاتها إلى غير نهاية !

(١) انظر الحديث في صحيح البخارى ٧٠٩٦ .

(٢) الطبرى ٤ / ٣٣٤ نقلاً عن عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ١٦٧ .

(٣) في كتابه عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ١٦٧ ، وللإشارة فلقد رجعنا في حديثنا عن الفتنة الكبرى ومقتل عثمان إلى هذا الكتاب وهذا للأمانة العلمية .

● عن ميمون بن مهران قال : (لما قتل عثمان ، قال حذيفة : هكذا ، وحلّق بيده يعني عشرة ، فتق في الإسلام فتق لا يرتقه جبل).

ولما بلغ ثمامة بن عدى قتل عثمان ، بكى فطال بكاءه ، ثم قال : (هذا حين أنزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار ملكاً وجبرية ، من غلب على شيء أكله)^(١) .

ولقد كان مقتله يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، ويقال لثمانى عشرة ليلة من سنة خمس وثلاثين^(٢) .



(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٩/٣ .

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ٥٩/١ .

(٤)

علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

- هو على بن أبي طالب - واسم أبي طالب عبد مناف - بن عبد المطلب بن هاشم ، وهو ابن عم النبي ﷺ لأبيه ، وأقرب العشرة نسباً إليه .
- أمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أول هاشمية ولدت هاشمياً .. وقد هاجرت إلى المدينة وماتت بها وصلى عليها النبي ﷺ وتولى دفنها .
- ويكنى أبا الحسن ، وأبا تراب ، وهو أبو السبطين .. الحسن والحسين .
- ويكنى بأبي الريحانتين ، وجملة من في الصحابة اسمه على ثمانية ليس فيهم ابن أبي طالب غيره^(١) .

● صفته ●

كان -رضى الله عنه - أسمر اللون ، أصلع الرأس ، ليس في رأسه شعر إلا من خلفه أبيض الرأس واللحية ، وربما خضب ، وكانت لحيته عظيمة ، كثير شعر الصدر ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، وهو إلى القصر أقرب .. وقيل : كان فوق الربعة ، وكان ضخماً عضلة الذراع دقيق مستدقها ، ضخماً عضلة الساق دقيقها مستدقها ، كان حسن الوجه ، كثير التبسم .

● إسلامه ●

(عندما بدأت أيام الرسالة الأولى .. بل عندما بدأت أولى ساعاتها ، كان هناك ثلاثة يلحظون التغير الهائل الذي يرسم سياه على حياة الرسول .. هم : خديجة زوجته ، وعلى ابن عمه ، وزيد خادمه .. ولقد أسلموا بهذا الترتيب)^(٢) .

(١) الرياض المستطابة ١٦٥ .

(٢) خلفاء الرسول ٣٧٥ .

ولنعد قليلاً إلى الوراء :

(كان من لطف الله وإرادته الخير له ، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب كثير العيال ، فأرادوا أن يخففوا عنه ، فكلموه في ذلك فقال : إذا تركتم لي عقيلًا وطالبًا فاصنعوا ماشئتم . فأخذ رسول الله عليًا . فلم يزل في حجرة حتى بعثه الله نبيًا فآمن به على وصدقه .. (١)).

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : (أول من صلى على) (٢) ، قال أبو عيسى : وقال بعض أهل العلم ، أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأسلم على وهو غلام ابن ثمان سنين وأول من أسلم من النساء خديجة .

(وهكذا أسلم الغلام المبارك .. ولم يتردد .. وكان أول المسلمين(*) ومن ذلك اليوم وهو مع النبي ﷺ لا يفارقه ، يصلى معه ، ويصغى إليه ، ويراه يتهيا لتلقى الوحي .. إنه وهو في الثامنة من عمره بدأ يعيش مع رسول الله ﷺ ، يتأدب على يديه ، ويتأثر بطهره وعظمة نفسه ، وتقى ضميره وسلوكه .. وسارت حياته من ذلك اليوم إلى أن يحى اليوم الذى سيلقى فيه ربه .. تطبيقًا كاملاً وأمينًا لمنهج الرسول وتعاليم القرآن . ألا بوركنت هذه الحياة !! حياة لم تكن لها صبوة ، ولا شهوة ، ولا هفوة !! حياة ولد صاحبها وتبعات الرجال فوق كاهله !! حتى لهُو الأطفال لم يكن لحياة ابن أبي طالب فيه حظ ولا نصيب .. فلا مزامير البادية ، ولا أغاني السَّمار ، شيع منها سمع الطفل ووجدان الشاب .. لكان المقادير كانت تدخر سمعه ووجدانه ، لكلمات أخرى ستغير وجه الأرض ، ووجه الحياة .. !! (٣) .

(١) المرجع السابق .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٣٦ .

(*) من الصبيان كما سبق .

(٣) خلفاء الرسول بتصرف ٣٧٦ .

● من مناقبه ●

كان - رضى الله عنه - أول من أسلم من الصبيان .. وأول من هاجر بعد النبي ﷺ وأبى بكر .. وأول من صلى من المسلمين .. وأجمعوا على أنه شهد المشاهد كلها إلا تبوك ، وكان النبي ﷺ قد استخلفه فيها على المدينة . فلما خرج رسول الله إلى تبوك وسار قليلاً تبعه على وقال: تخلفنى فى النساء والصبيان ! فقال له الرسول ﷺ : (ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدى)^(١) . وكان لواء النبي ﷺ معه فى أكثر حروبه ، وإذا لم يغز بنفسه أعطاه سلاحه . وكان له الأثر العظيم فى كل مشهد .. قال - ﷺ - فى غزوة حنين (لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ، ويجب الله ورسوله)^(٢) ، فكان هو المعطى ، واختص بتزويج السيدة فاطمة - رضى الله عنها - وقد أثنى عليه جمع من الصحابة منهم : أبو بكر وعمر ، واعترفوا له بالفضل بالسبق والتقدم فى العلم والفهم ، ورجعوا إلى قوله فى الفتاوى الحادثة ، وسئل ابن عباس عن على فقال : « كان قد ملئ علماً وحلماً »^(٣) ، وهو أحد العشرة النجباء ، والستة أصحاب الشورى ، وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، والشجعان المشهورين ، والزهاد المذكورين ، والسابقين الأولين ، واختص بغسل النبي ﷺ ، وتكفينه وإدخاله القبر .

● قال عنه ضرار بن ضمرة : « كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وينطق بالحكمة من نواحيه ، يستوحش الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة .. »^(٤) .

● من أجل مناقبه وأعظمها قول الرسول ﷺ : (من كنت مولاه فعلى مولاه)^(٥) .

● ولقد صدق عليه الوصف النبوى فابتلى به محب مفرط ، وباغض مفرط ، فقد قال عن

(١) صحيح البخارى ٣٧٠٦ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى فى الصحيح ٣٧٠١ .

(٣) الرياض المستطابة ١٦٧ .

(٤) صفة الصفوة ١/ ٨٨ .

(٥) صحيح سنن الترمذى ١٩٣٠ .

نفسه : (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلى أن لا يجبني إلا مؤمن ولا ييغضني إلا منافق)^(١) .

(ولقد سلك قوم في محبته طريقة ذات أخطار فترضوا عن الصحابة السابقين له بالخلافة وخطأؤهم في تقدمهم عليه ، فأقدموا على نقض إجماع القرون .. كما تضمن أيضًا قولهم تعجيز على حيث بايع لمن قبله تقية وحاشاه ، فلم يكن رعديد الجنان ، ولا العاجز الجبان ، ولا الإمعة المهان ، بل كان سيدًا شجاعًا مسموعًا مطاعًا)^(٢) .

● الفدائي العظيم ●

(إن خطة الهجرة ، كما رسمها الرسول ﷺ ، كانت تتطلب أن يأخذ مكانه في البيت رجل تشغل حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركي قريش وتخدعهم بعض الوقت عن مخرج الرسول عليه السلام .. حتى يكون وصاحبه أبو بكر قد جاوزوا منطقة الخطر .. ولكن ! ما مصير الذي سيخلف الرسول في داره ويخدع قريشًا كلها عن مخرجه ؟! ما مصيره حين تكتشف قريش الحيلة ، وترى كيدها الذي عبأت فيه كل قواها ، يرتد لا هزيمة ماحقة فحسب ، بل وسخرية تضحك منها ولدانها ، وخديًا يحشم فوق جبينها .. ؟ إن مصيره مفروغ منه .. إنه القتل ، إذا لم تجد قريش ما هو أشد من القتل تشفيًا وفتكًا !!

والحق أنها ستكون نهاية موحشة . فالرجل الذي سيكتب عليه أن يحمل هذه التضحية لن يقتل فحسب .. بل سيقتل في بلد موحش ، قد خلا من كل أصحابه الذين كانوا بالأمس يملأون فجاجه دويًا بالقرآن كدوى النحل .. في هذا البلد الموحش سيقتل وحيدًا .. دون أن يجد من إخوانه من يشجعه ولو من بعيد بنظرة تثبيت .. أو يودعه - ولو من بعيد أيضًا - بنظرة عطف ومحبة أو يتسلل في جناح الظلام إلى قبره فيقف عليه مسلمًا !! لا شيء من ذلك سيكون .. ولا شيء من ذلك سيخفف من وقع النهاية التي ستختارها قريش لمن يمثل دور الرسول عليها حتى يخذعها عنه ، وحتى يرد كيدها العاتي ترابًا في تراب !! فمن أي طراز

(١) صحيح مسلم ٧٨ .

(٢) الرياض المستطابة ١٦٨ .

سيكون هذا الفدائى العظيم ؟ ومن أى ناحية سيجى البطل .. ؟ إنه من بيت النبوة
يجى .. إنه سليل بنى هاشم .. وتلميذ محمد .. إنه ربيب الوحى ، وسابق المسلمين .. إنه «على»
يفاجى قريشاً .. فليُسِّرْ على يديه صباحها .. كما ساء بخروج النبى ممساها !!!^(١) .

● زهده ●

● وصفه عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - فقال : (أزهّد الناس فى الدنيا على
ابن أبى طالب) .

● وجاءه ابن التياح فقال : (يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء ، فقال :
الله أكبر ، ثم قام متوكئاً على ابن التياح حتى قام على بيت المال فقال :
هذا جناى وخيارى فيه وكل جانٍ يده إلى فيه

يا ابن التياح على بأشياخ الكوفة ، قال : فنودى فى الناس ، فأعطى جميع ما فى بيت المال
وهو يقول : يا صفراء يا بيضاء غرى غرى .. حتى ما بقى فيه دينار ولا درهم ، ثم أمر بتضحة
وصلى فيه ركعتين^(٢) .

(ثم دعى لينزل قصر الإمارة . قصرٌ كبير ترتفع هامته فى شموخ وفتنة ، فلا يكاد يبصره
حتى يولى عنه مدبراً وهو يقول : (قصر الخبال هذا لا أسكنه أبداً) !! ويلح عليه أهل الكوفة
أن ينزل به فهو أرحب ، وأنسب ، فيصر على رفضه ويقول : لا حاجة لى فيه ، إن عمر
ابن الخطاب كان يكرهه ..^(٣) .

● ويرتدى - وهو خليفة - جلباباً اشتراه من السوق بثلاثة دراهم ، ويركب حماراً قد
تدلت على جانبيه ساقاه ، وكأنه من فقراء البادية .. ويعزم عليه أصحابه أن يجعل وسيلته
للتنقل جواداً يليق به كأميراً للمؤمنين .. فيجيبهم قائلاً : « دعونى أهن هذه الدنيا »^(٤) .

(١) خلفاء الرسول ٣٩٦ .

(٢) صفة الصفوة ٩٨/١ وانظر خلفاء الرسول ٣٩٨ .

(٣) خلفاء الرسول ٣٩٩ .

(٤) صفة الصفوة ٩٩/١ .

- وعن عمرو بن قيس ، أنه رأى عليًا عليه إزار مرقوع ، فعوتب في لبوسه فقال : « يقتدى به المؤمن ، ويخشع له القلب » .
- وعن علي بن أبي الأرقم عن أبيه قال : « رأيت عليًا وهو يبيع سيفًا له في السوق ويقول : من يشتري هذا السيف ؟ فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ، ولو كان عندى ثمن إزار مابعته » ^(١) .

● ورعه ●

- عن عمرو بن يحيى عن أبيه قال : (أهدى إلى على أزقاق سمن وعسل ، فرآها قد نقصت فسأل : ف قيل : بعثت أم كلثوم فأخذت منه ، فبعث إلى المقومين فقوموه بخمسة دراهم ، فبعث إلى أم كلثوم : ابعتي إليَّ بخمسة دراهم) ^(٢) .
- وعن أبي صالح قال : (دخلت على أم كلثوم بنت على ، فجاء حسن وحسين فدخلا عليها وهي جالسة فقالت : ألا تطعمون أبا صالح شيئًا ؟ قال : فأخرجوا إليَّ قصعة فيها مرق بحبوب قال ، فقلت : تطعمون هذا وأنتم أمراء ؟ قالت أم كلثوم يا أبا صالح ، كيف لو رأيت أمير المؤمنين على ، وأتى بأترج فذهب حسين فأخذ منها أترجة فنزعها من يده ثم أمر به فقسم بين الناس) ^(٣) .

● خلافة على والفتنة الكبرى ●

- تولى على الخلافة بعد مقتل عثمان في ظروف خطيرة.. حيث سيطر الثوار على المدينة ، وأفلت الأمر من كبار الصحابة ، فلم تعد ثمة سلطة عليا تحكم الدولة الإسلامية .
- (وهكذا .. جاءت الخلافة أخيرًا .. مثخنة بالجراح ، مثقلة بالمتاعب ، معبأة بالعواصف .. !! وقصده الثوار وأيديهم لم يجف عنها دم الخليفة الشهيد عثمان ، ورفض الإمام

(١) صفة الصفوة ١/ ٩٩ .

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٦٩٠ .

(٣) المصدر السابق .

على وقال : والله إنني لأستحي أن أباع قومًا قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ، وإنني لأستحي من أن أباع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد ، فأنصرفوا عنه ثم ذهبوا إلى طلحة والزبير وعدد من الصحابة فرفضوا أيضًا ، ثم عادوا إلى الإمام على فبايعوه وبايعه كبار الصحابة .. وكان طلحة بن عبيد الله أول من بايع^(١) الإمام على فضرب بيده على يد على ، وكان بيده شلل من ضربة أصابته يوم أحد ، فلما وقعت يده على يد عليّ قال حبيب بن ذؤيب : أول يد وقعت على كف عليّ شلاء ، لا والله لا يتم هذا الأمر من قبل طلحة أبدًا ، ثم وثب الزبير وبايع ، وبايع الناس بعد ذلك .. وبهذا صار الإمام على خليفة المسلمين .. وهو آخر خلفاء النبوة . عن سعيد بن جهمان قال : حدثني سفينة قال : قال رسول الله ﷺ : (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك)^(٢) . ولقد أيقظ الشيطان الفتنة ، فكانت أيام خلافته فتن ومعارك صرفت المسلمين عن إكمال مسيرة الفتح الذي بدأها عمر واستمر في عهد عثمان حتى شمل البر والبحر !!

● موقعة الجمل ●

ولما تمت البيعة لعلي استأذن طلحة والزبير عليًا في الخروج إلى مكة ومن قبلهما ذهبت أم المؤمنين عائشة وبقية أمهات المؤمنين ، فأشارا طلحة والزبير على أم المؤمنين بالخروج إلى البصرة فخرجوا .. ولكن لأي شيء خرجوا ؟!

من هنا كثرت الأقاويل ، واختلفت الروايات في سبب خروجهم ، وكما قال ابن العربي المالكي :

(١) وردت روايات مفادها أن طلحة بايع مكرهاً وهذه الروايات من اختراع دعاة الفتنة وهي لا تثبت بوجه من الوجوه ، راجع إن شئت العواصم من القواصم ١٤٨ .

(٢) صحيح سنن الترمذي ١٨١٣ ، وقد أخرج أبو القاسم محمد بن عبدوس في كتاب (التسلي عن الدنيا) قال : روى عن النبي ﷺ أنه قال : « الخلافة في أمتي ، وذكر الحديث ، قال : وجدت في بعض التواريخ ما يلي : أيام أبي بكر ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، وأيام عمر عشر سنوات وستة أشهر وثمانية عشر يومًا ، وأيام عثمان إحدى عشر سنة وأحد عشر شهرًا وثلاثة وعشرين يومًا ، وأيام علي أربع سنوات وسبعة أشهر ويوم واحد ، وأيام الحسن بن علي خمسة أشهر وعشرة أيام ، قال : فجمعت ذلك كله فكانت ثلاثين سنة لا تزيد يومًا واحدًا ولا تنقص يومًا واحدًا .. ! » .

(.. ولكن لأي شيء خرجوا؟ لم يصح فيه نقل ولا يوثق فيه بأحد، لأن الثقة لم ينقله وكلام المتعصب غير مقبول، وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن في الإسلام واستنقاص الصحابة^(١)). فالصحيح في المسألة، والذي يجب أن يقال أن خروجهم كان لتأليف الكلمة والنظر في أمر قتلة عثمان. فقد خرج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنهم - رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فخرجوا حرمة نبيهم، واحتج طلحة والزبير على عائشة بقول الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بَصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وقد خرج النبي ﷺ في الصلح وأرسل إليه فرجت المثوبة واغتنت الفرصة وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها، ولما قرب طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ومن معهم من البصرة وأحسن بهم أهلها، خرج إليهم عثمان بن حنيف - وإلى عليّ على البصرة - يريد أن يمنعهم فلم يستطع وخرج الأمر من يده إلى أيدي أصحاب الجمل، وقدم عليّ البصرة فنزل بمكان يسمى «الزاوية» وكان أصحاب الجمل نازلين مكاناً يسمى «الفرضة».

وكان الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي قد قام بين الفريقين بالوساطة الحميمة المعقولة، فاستجاب له أصحاب الجمل وأذعن عليّ لذلك، وبعث عليّ إلى طلحة والزبير يقول: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر، فأرسلا إليه إننا على ما فارقتنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس.

قال ابن كثير في البداية والنهاية^(٢): (.. فاطمأت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث عليّ عبد الله بن عباس إليهم وبعثوا إليه محمد ابن طلحة السجّاد، وبات الناس بخير ليلة وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يشيروا الحرب مع الغلس^(٣) فنهضوا من قبيل طلوع الفجر وهم قريب من ألف رجل، فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف. ا.هـ.

وهكذا أنشبا الحرب بين عليّ وأخويه الزبير وطلحة، فظن أصحاب الجمل أن عليّاً غدر

(١) العواصم من القواصم ١٥٥.

(٢) ٢٥٠/٧ - ٢٥١.

(٣) طلوع الفجر.

بهم ، وظن على أن إخوانه غدروا به ! وكلٌ منهم أتقى الله من أن يفعل ذلك في الجاهلية فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من أخلاق القرآن!!^(١) ولما اتسع زمام الحرب ، خرج كعب بن سور الأزدي بأمر عائشة بمصحف منشور بيده يناشد الناس ألا يريقوا دماءهم ، فلما رآه قتلة عثمان خافوا أن يجرى الصلح فرشقوه بالنبال فمات ، فلما رأت ذلك أم المؤمنين قالت : أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وأقبلت تدعو وضج أهل البصرة بالدعاء ، وسمع على الدعاء قال : ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعو الناس معها على قتلة عثمان وأشياعهم ، فأقبل على يدعو وهو يقول : اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم .

وهكذا اشترك صالحو الفريقين في لعنة قتلة عثمان أمير المؤمنين الشهيد المظلوم في الساعة التي كان فيها قتلة عثمان ينشبون القتال بين صالحى المسلمين .

ولما ظهر على - رضى الله عنه - جاء إلى أم المؤمنين - رضى الله عنها - فقال : غفر الله لك ، قالت : ولك ما أردت إلا الإصلاح ، ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف ، وهى أعظم دار في البصرة ، وزارها ورحبت به وبايعته وجلس عندها . ولما أرادت الخروج من البصرة بعث إليها بكل ما ينبغى من مركب وزاد ومتاع ، وأرسل معها أربعين امرأة وسيّر معها أخاها محمد .

ولما كان اليوم الذى ارتحلت فيه ، جاء على - رضى الله عنه - فوقف على الباب وخرجت من الدار فى الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت : يا بنى لا يعتب بعضكم على بعض . وإنه والله ما كان بينى وبين على - رضى الله عنه - فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وحماتها .. وإنه لمن الأحيار . فقال على - رضى الله عنه - صدقت والله ما كان بينى وبينها إلا ذلك وإنها زوجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة ، وصار معها مودعاً وسرّح بيته معها بقية ذلك اليوم .

قال شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله :

(إن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين ، وظنت فى خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى ، فكانت كلما ذكرت ذلك اليوم - يقصد خروجها إلى البصرة - بكت حتى تبل خمارها ، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال فندم طلحة والزبير - رضى الله عنهم أجمعين - ولم يكن لهؤلاء قصد فى القتال ، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم)^(٢) .

(١) انظر هامش العواصم ١٦٠ ص ٢٦٦ .

(٢) العواصم ١٦٤ هامش رقم ٧٢٥ .

- لقد قال الزبير يوماً لمولاه : إنما الفتنة التى كنا نتحدث عنها ، فقال مولاه أتمسبها فتنة وتقاتل فيها ؟ =

● موقعة صفين ●

ولما انتهى على من حرب الجمل وسار من البصرة إلى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب، أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية في دمشق يدعوه إلى طاعته ، فجمع معاوية رؤوس الصحابة وقادة الجيوش أعيان أهل الشام واستشارهم فيما يطلب على ، فقالوا : لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان أو يسلمهم إلينا ، فرجع جرير إلى علي بذلك . فاستخلف علي على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر ، وخرج منها فمسكر «بالنخيلة» أول طريق الشام من العراق ، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى في الكوفة ويبيعث غيره إلى الشام فأبى ، وبلغ معاوية أن علياً تجهز وخرج بنفسه لقتاله ، فأشار عليه رجاله أن يخرج هو أيضاً بنفسه ، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين ، وتقدم على بجيوشه إلى تلك الجهة ، وكان جيش علي في مائة وعشرون ألفاً ، وجيش معاوية في تسعين ألفاً وبدأ القتال في ذي الحجة سنة ست وثلاثين بمناوشات ومبارزات ثم تهادنوا في المحرم سنة سبع وثلاثين ، واستأنف القتال بعده وقتل في هذه الحرب سبعون ألفاً ، وكانت الوقائع تسعين وقعة في مائة وعشرة أيام ، وامتنعت هذه الحرب بنبل الشجاعة في القتال ونبل التعامل والاتصال عند التهادن والراحة ، ثم كُتب كتاب التحكيم في يوم ١٣ صفر سنة ٣٧ هـ على أن يعلن الحكمان حكمهما في رمضان بدومة الجندل بمكان يسمى «أذرح» ، فكان من ناحية علي أبو موسى الأشعري ومن ناحية عمرو بن العاص ، فاتفقا أبو موسى وعمرو على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ .

أما ما قيل من أن كلا الرجلين اتفقا على خلع علي ومعاوية ، فخلع أبو موسى الرجلين وكان قد تكلم أول ، وعندما تكلم عمرو اكتفى بخلع علي وأثبت معاوية ، فقال أبو موسى : ما على هذا اتفقنا وخرجنا ولم يتفقا ، فلإنها مغالطة علمية .

وأصل هذه المغالطة أن معاوية لم يكن يومئذ خليفة ولا هو ادعى الخلافة حتى يحتاج عمرو إلى خلعه عنه أو إثباتها له . وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي ، وقد تمت مبايعة الحسن لمعاوية ، ومن ذلك اليوم فقط سُمي معاوية أمير المؤمنين ، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين ، وسُمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على خليفة

= قال الزبير : ويلك .. إننا نبصر ولا نبصر .. ما كان أمر قط إلا وأنا أعلم موضع قدمي فيه غير هذا الأمر ..
فإني لا أدري أمقبل أنا أم مدبر ؟ انظر الكامل ١١٣/٣ نقلاً عن أباطيل يجب أن تمحي من التاريخ ،
د/ إبراهيم شعوط ١٦٦ .

واحد ، قال - عليه السلام - عن الحسن بن علي (ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) (١) .

● مقتل الإمام علي ●

● عن زيد بن وهب قال : (قَدِمَ على عليَّ قوم من أهل البصرة من الخوارج ، فيهم رجل يقال له الجعد بن بعجة فقال له : اتق الله يا علي فإنك ميت ، فقال علي : بل مقتول . ضربة على هذا تخضب هذه - يعنى لحيته من رأسه - عهد معهود وقضاء مقضى) (٢) .

● وعن عبد الله بن سبع قال : (سمعت عليًا يقول : لتخضبن هذه من هذا فما ينتظر إلا الأشقي ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين فأخبرنا به نبير عترته !! قال : إذن تالله تقتلون بى غير قاتلى ، قالوا : فاستخلف علينا ، قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ..) (٣) .

● ولما دعا عليُّ الناس إلى البيعة جاءه عبد الرحمن بن ملجم فردّه مرتين ، ثم أتاه فقال : ما يحبس أشقاها ؟ لتخضبن هذه من هذا ثم تمثل بهذين البيتين :

اشدد حيازيمك للموت فإن القتل آتيك

ولا تجزع من القتل إذا حل بواديك

وكان عبد الرحمن بن ملجم ، وهو من رؤوس الخوارج ، قد خطب امرأة يقال لها قطام فائقة الجمال ، وكان عليٌّ قد قتل أبوها وأخوها يوم النهروان ، فاشتربت على عبد الرحمن ابن ملجم ، أن يقتل عليًا ، فقال : والله ما جاء بى إلى هذه البلدة إلا قتل على ، فتزوجها ودخل بها ، وأخذت تحرّضه على قتل علي ، وفى ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان عام ٤٠ للهجرة ، كمن عبد الرحمن بن ملجم ومعه اثنان من أعوانه مقابل السدة التى يخرج منها الإمام على للصلاة ، وخرج الإمام كعادته يوقظ الناس لصلاة الفجر ففاجأه ابن ملجم وضربه بالسيف على رأسه فسال الدم على لحيته - رضى الله عنه - . وقال لأصحابه بعد أن علم أن عبد الرحمن بن ملجم هو الذى فعل ذلك : أحسنوا نزله .. وأكرموا مثواه .. فإن أعش فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفواً .. وإن متُّ فألحقوه بى .. أخاصمه عند رب العالمين .. ولا تقتلوا بى سواه إن الله لا يحب المعتدين !! ولما احتضر - رضى الله عنه - جعل يقول : لا إله إلا الله ، ولا يقول غيرها !!

(١) صحيح البخارى ٣٧٤٦ .

(٢) أحمد فى المسند برقم ٧٠٣ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٣) أحمد فى المسند برقم ١٠٧٨ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

وقد توفي عن ثلاثة وستين عامًا ، وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر . أما عبد الرحمن بن ملجم فقد تولى قتله الحسن بن علي ، ثم أحرقت جثته بالنار !!

● وتبقى كلمة ●

(إن ما حدث من جانب الصحابة في هذه الفتنة الكبرى يُحمل على حسن النية والاختلاف في التقدير والاجتهاد.. كما يُحمل على وقوع الاصابة والخطأ ، لكنهم على كل حال مجتهدين ، وهم لاخلاصهم مثابون عليه في حالتى الاصابة والخطأ .. لأن كل جهة لها وجهة نظر تدافع عنها بحسن نية ، حيث إنَّ الخلاف بينهم لم يكن بسبب التنافس على الدنيا ، وإنما كان اجتهادًا من كلٍ منهم في تطبيق شرائع الإسلام)^(١) .

● وقد سُئل بعض السلف عن الدماء التى أريقَت بين الصحابة فقال : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . [البقرة : ١٣٤] .

● وسُئل ابن المبارك عن الفتنة التى وقعت بين على ومعاوية فقال : (فتنة قد عصم الله منها سيوفنا ، فلنعصم منها ألسنتنا) .

● وقد سُئل الحسن البصرى عن قتالهم فقال : (قتال حضره أصحاب محمد ومحمد وغبنا وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوفقنا) .

● ومذهب أهل الحق إحسان الظن بهم ، والإمساك عما شجر بينهم .

وبعد :

فإنه لا يجوز وقد انطوى العهد بها فيه أن نتخذ من انتقاص معاوية ديدنا ، وأن نقف منه دون فائدة مرجوة موقف الند اللدود .. فمعاوية - رضى الله عنه - صحابى من صحابة رسول الله ﷺ الذين قال في حقهم : (إن خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ..)^(٢) . ولنحذر كل الحذر أن ننال منه بأى كلام يقلل من قدره ومكانته ، فهو - فوق أنه صحابى - من كُتَّاب الوحى ، ولا يخفى ما لكُتَّاب الوحى من فضلٍ ، ومكانة ، فهم أمناء سر الرسول ﷺ . ولو لم تكن له غير هذه المنقبة لكفاه شرفاً .

أما حديثنا نحن اليوم ، وقد طوى الأمر وأصبح حدثًا من أحداث التاريخ ، فإنه يغدو ، مجرد تطاول رخيص على الصحابة الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ وحذر من الإساءة إليهم ،

(١) تحقيق موقف الصحابة في الفتنة د/ محمد أنجوز ٢/ ٣٤٢ .

(٢) سبق تخريجه .

ولاسيما الخلفاء الراشدين ، قال النبي ﷺ : (لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)^(١) .

وفي الختام لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتمسك بقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

● من أقواله وحكمه ●

قال - رضي الله عنه :

● تعلموا العلم ، تُعرفوا به .. واعملوا به تكونوا من أهله .. ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت مقبلة .. ولكل منهما بنون . فكونوا من أنباء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . إلا أن الزاهدين في الدنيا قد اتخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً . ألا إن من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات .. ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن طلب زهد الدنيا هانت عليه مصائبها .. !!) .

وقال أيضاً :

● إن المضمار اليوم ، وغداً السباق .. ألا وإنكم في أيام أمل ، من ورائه أجل .. فمن قصر في أيام أملة قبل حضور أجله فقد خاب عمله .. ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة .. ألا وإنسى لم أر كالجنة نام طالها ! ولم أر كالنار نام هاربها .. ألا وإن من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال ألا وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر .. وإن الآخرة وعد صادق ، يحكم به مالك قادر .. وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .. فإن اتباع الهوى يصد عن الحق .. وإن طول الأمل يُنسى الآخرة .. !!

● ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين : رجل أذنب ذنباً فهو يتدارك ذلك بتوبة أو رجل يسارع في الخيرات ، ولا يقل عمل في تقوى ، وكيف يقل ما يتقبل .

(١) صحيح البخارى ٣٦٧٣ ، وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٠ .

● وقال - رضي الله عنه :

إذا اشتملت على اليأس القلوب	وضاق بهما الصدر الرحيبُ
وأوطنت المكاره واطمأنت	وأرست في أماكنها الخطوبُ
ولم يُرْ لانكشاف الضروجه	ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوط منك غوث	يجيء به القريب المستجيبُ
وكل الحادثات إذا تناهت	فموصول بها الفرج القريبُ

● وقال - رضي الله عنه :

القريب من قرّبه المودة وإن بُعد نسبه ، والبعيد من باعدته العداوة وإن قرب نسبه ،
ولا شيء أقرب من يد إلى جسد ، وإن اليد إذا فسدت قطعت وإذا قطعت حسمت !! ..



(٥)

طلحة بن عبيد الله

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .. يجتمع مع الرسول ﷺ في مرة بن كعب ، وينسب إلى تيم بن مرة .. فيقال القرشي التيمي ويجتمع مع أبي بكر في كعب بن سعد بن تيم .

أمه : الصعبة بنت الحضرمي ، أخت العلاء الحضرمي .. الصحابي الجليل . ويكنى : أبا محمد ، وكان يُلقَّب بطلحة الخير ، لقَّبه به رسول الله ﷺ يوم أحد . ولُقِّب بطلحة الفياض لقَّبه به رسول في غزوة ذات العشيرة ، ولُقِّب أيضًا بطلحة الجود لقَّبه به رسول الله ﷺ يوم حنين^(١).

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - أبيض يضرب إلى الحمرة ، مربوعاً إلى القصر أقرب ، رحب الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم القدمين ، كان كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط^(٢) ، وكان لا يغير شيبه ، حسن الوجه ، إذا مشى أسرع .

● اسلامه ●

أما عن اسلامه - رضى الله عنه - فنتركه يحدثنا عن ذلك : يقول : (حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفيهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة : قلت أنا . فقال : هل ظهر أحمد بعد ؟ قلت : ومن أحمد ؟ فقال : ابن عبد الله ابن عبد المطلب .. هذا شهره الذى يظهر فيه .. وهو آخر الأنبياء .. يخرج من أرضكم .. من الحرم .. ويهاجر إلى أرض ذات نخل وحرّة وسباخ .. فإياك أن تسبق إليه) .

قال طلحة : فوقع في قلبي ما قاله الراهب .. فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت : هل كان من حدث بعدنا في مكة ؟ قالوا نعم : محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة . قال طلحة : وكنت أعرف أبا بكر فقد كان رجلاً سهلاً محبباً موطأ

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٧٠٩ .

(٢) السبط من الشعر المنبسط المسترسل ، والقطط الشديد الجعودة ، أى كان شعره وسطاً بينها .

الأكناف .. وكان تاجراً إذا خلق واستقامة ، وكنا نألفه ، ونحب مجالسته ، لعلمه بأخبار قريش ، وحفظه لأنسابها .. قال : فخرجت حتى قدمت على أبي بكر فقلت : أحقاً اتبعت هذا الرجل ؟ فقال : نعم ، فانطلق إليه فأدخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق .. وجعل يقص عليّ من خبره ، ويرغبني في الدخول معه ، فأخبرته بما كان من الراهب فدهش له .. وخرج أبو بكر فدخل بي على رسول الله ﷺ فعرض عليّ الإسلام ، وقرأ عليّ شيئاً من القرآن ويشرني بخيري الدنيا والآخرة ، فشرح الله صدرى للإسلام ، وأخبرت رسول الله ﷺ بما كان من الراهب فسر بذلك . وكنت رابع ثلاثة أسلموا على يد أبي بكر (١) .

● ولما أسلم طلحة أخذه نوفل بن خويلد - وكان يلقب بأسد قريش - فأوثقه في حبل ، وأوثق معه أبا بكر الصديق ، وقرنها معاً ، وأسلمهما إلى سفاء مكة ليذيقوهما أشد العذاب .. يئد أن اضطهداهما لم يطل مداه ، إذ سرعان ما خجلت قريش من نفسها ، وخافت عاقبة عملها .

● وهاجر طلحة إلى « المدينة » حين أمر المسلمين بالهجرة ، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عداغزوة بدر ، حيث كان في تجارة له بالشام .

قال الزبير بن بكار : (.. وكان طلحة بن عبيد الله في الشام ، حيث كانت وقعة بدر ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه ، فلما قدم قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك !!) (٢) .

● من مناقبه ●

قال عنه أبو نعيم في الحلية :

(طلحة بن عبيد الله من الأعلام الشاهرة ، صاحب الأحوال الزاهرة ، الجواد بنفسه ، الفياض بهاله ، قضى نجه ، وأقرض ربه ، كان في الشدة والقلّة لنفسه بذولاً) . اهـ .

كان - رضي الله عنه - من السابقين في الإسلام والهجرة ، شهد المشاهد كلها عدا بدر ، وكان له عظيم الأثر في غزوة أحد ، حيث دافع عن النبي ﷺ دفاع المستميت ووقاه

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٩/٣ . وانظر صورة من حياة الصحابة ٢٢٥ .

(٢) الاستيعاب على هامش الإصابة ٢٣٧ ترجمة رقم ١٢٨٠ .

حتى شلت يده ، وأصابه يومئذ بضع وعشرون بين طعنة رمح وضربة سيف .. سمّاه رسول الله ﷺ طلحة الجود ، وطلحة الفياض ، وطلحة الخير ، وسمّاه أيضاً الصبيح المليح الفصيح ، وأخبر الرسول ﷺ أنه ممن قضى نحبه (١) . وكان من الذين قال الله فيهم : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ (٢) ، ومن الذين نزل فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٥) ، ثم أنه أحد العشرة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الثمانية السابق إلى الإسلام ، وأحد الرفقاء النجباء ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ، وكان من خطباء الصحابة ومثريهم ، وأجوداهم (٦) .

سمع على رجلاً ينشد :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا هو ما استغنى ويبعده الفقر

فقال : ذلك أبو محمد ، طلحة بن عبيد الله !..

● أحد .. ذاك يوم كله لطلحة ..!! ●

(.. وتدور الأيام ، وتتلاحق الأحداث .. وتجيء غزوة أحد ، وتدور حرب طاحنة سرعان ما غطت الأرض بحصاها الأليم .. ودارت الدائرة على المشركين ، ولما رآهم المسلمون ينسحبون وضعوا أسلحتهم وتحلى الرماة عن مواقعهم ليحوزوا نصيبهم من الغنائم .. وفجأة اكفهر الجو وتلبد بالغيوم وعاد جيش قريش من الوراء على حين بغتة ، فانقض على المسلمين ، واستأنف القتال ضراوته ، وكان للمفاجأة أثرها في تشتيت صفوف المسلمين ، وكان النبي ﷺ يصعد هو ومن معه على الجبل ، فلحقه المشركون يريدون قتله . فقال النبي ﷺ : من يرد عني هؤلاء ،

(١) صحيح سنن الترمذى ٢٩٤١ .

(٢) سورة آل عمران جزء من الآية رقم ١٧٢ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ٤٣ .

(٤) سورة الزمر من الآية ١٨ .

(٥) سورة الحديد آية ١٩ .

(٦) الرياض المستطابة ١٣٩ .

وله الجنة؟ فقال طلحة: أنا يا رسول الله. فقال: لا، مكانك. فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فقال: نعم أنت، فقاتل الأنصارى حتى قُتل، ثم صعد رسول الله ﷺ بمن معه فلحقه المشركون، فقال: ألا رجل هؤلاء؟!

فقال طلحة: أنا يا رسول الله. فقال: مكانك. فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فقال: نعم أنت. ثم قاتل الأنصارى حتى قُتل أيضًا. وتابع الرسول صعوده، فلحق به المشركون، ولم يزل يقول مثل قوله. ويقول طلحة: أنا يا رسول الله، فيمنعه النبي، ويأذن لرجل من الأنصار، حتى استشهدوا جميعًا، ولم يبق معه إلا طلحة، فلحق به المشركون، فقال طلحة: الآن، نعم.. وراح طلحة يجتاز طريقًا تعترض كل شبر منه عشرات السيوف المسعورة، وعشرات الرماح المجنونة!!

وكان رسول الله قد كُسر رباعيته، وشُج جبينه، وجُرحت شفته، وسال الدم على وجهه الشريف، وأصابه الإعياء، فوقف طلحة مدافعًا عنه يضرب بسيفه البتار يمينًا وشمالًا، وحمل رسول الله ﷺ وصعد به إلى الجبل، ثم يسنده إلى الأرض ويكر على المشركين من جديد.. وما زال هكذا حتى صدهم عنه.. (١).

(.. قال أبو بكر: وكنت حينئذ أنا وأبو عبيدة بن الجراح بعيدين عن رسول الله، فلما أقبلنا نريد اسعافه قال: دونكم أخاكم فقد أوجب «يقصد طلحة».. وكان طلحة قد أغشى عليه، وإذا دماؤه تنزف وفيه بضع وعشرون ضربة بسيف، أو طعنة برمح.. أو رمية بسهم، وإذا هو قد قطعت كفه، فكان رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: (من سره أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نجهه فلينظر إلى طلحة) (٢).

وكان أبو بكر - رضي الله عنه - إذا ذكر عنده يوم أحد قال: ذلك يوم كله لطلحة!! وقالت ابنتي طلحة: (جرح أبونا يوم أحد أربعًا وعشرين جرحًا، وقع منها في رأسه شجرة وشُلت أصبعه، وسائر الجراح في جسده، وقد غلبه الغشى وطلحة يحمله على ظهره حتى صعد به إلى الصخرة كلها أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشَّعْب) (٣).

(١) رجال حول الرسول ٣٥٢.

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٤١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٣/٣.

وقال الزبير : (سمعت رسول الله يومئذ - يقصد يوم أحد - يقول أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع ، يعنى حين برك له طلحة فصعد رسول الله على ظهره)^(١) .

وقال ابن اسحاق فى السيرة :

(.. فبينما رسول الله بالشعب ومعه نفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل ، فقال الرسول ﷺ : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض رسول الله إلى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع فجلس تحته طلحة ، فنهض حتى استوى عليها ، فقال رسول الله يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع)^(٢) .

ورحم الله من قال :

وطلحة يوم الشعب آسى محمداً	لدى ساعة ضاقت عليه وسدت
وقاه بكفيه الرماح فقطعت	أصابعه تحت الرماح فشلت
وكان إمام الناس بعد محمد	أقرّ رحا الإسلام حتى استقرت ..!

● شهيد يمشى على الأرض ●

جاء أعرابى إلى النبى ﷺ (يسأله عن من قضى نجه . من هو ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ثم طلع طلحة من باب المسجد وعليه ثياب خضر ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : أين السائل عن من قضى نجه ؟ فقال الأعرابى : أنا . قال النبى ﷺ : هذا من قضى نجه)^(٣) .

وعند مسلم فى الصحيح من حديث أبى هريرة : (أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله : اهدأ ، فما عليك إلا نبى أو صديق ، أو شهيد)^(٤) .

(١) أحمد فى المسند ١٤١٧/٣ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٢) السيرة النبوية ٢/٦٠٤ والحديث فى صحيح سنن الترمذى برقم ٢٩٣٩ .

(٣) صحيح سنن الترمذى ٢٩٤٢ .

(٤) مسلم فى الصحيح ٢٤١٧ .

● جوده وسخاؤه ●

كان - رضى الله عنه - من أغنياء المسلمين وأثرياءهم .. وكانت ثروته كلها فى خدمة الدين ، وكان ينفق منها بغير حساب .. وكان الله ينميها له بغير حساب ، ولقد لقبه رسول الله ﷺ بـ « طلحة الخير » و « طلحة الفياض » و « طلحة الجود » .

وعن قبيصة بن جابر قال : (ما رأيت رجلاً قط أعطى لجزيل من المال من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله » . وقال سفيان : وكان أهل طلحة يقولون : إن رسول الله سمى الفياض ^(١) .

وعن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة : (أنه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف ، فبات ليلته يتململ . فقالت له زوجته : مالك ؟ قال : تفكرت منذ الليلة فقلت : ما ظن رجلٌ بربه بيت وهذا المال فى بيته ، فقالت : فأين أنت من بعض أخلائك ؟ فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه ، فقسما بين المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى على منها بجفنة ، فقالت له زوجته : أبا محمد ، أما كان لنا فى هذا المال من نصيب ؟ قال : فأين أنت منذ اليوم ؟ فشأنك ما بقى ، قالت : فكانت صرة فيها نحو ألف درهم ^(٢) .

وعن على بن يزيد قال : (جاء أعرابى إلى طلحة بن عبيد الله يسأله فتقرب إليه برحم فقال : إن هذه لرحم ما سألتى بها أحد قبلك ، إن لى أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضها ، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن ، فقال : الثمن ، فأعطاه ^(٣) .

وكان - رضى الله عنه - من أكثر الناس برًا بأهله وبأقربائه ، فكان يعولهم جميعًا على كثرتهم .. وقد قيل عنه فى ذلك : كان لا يدع أحدًا من بنى تيم عائلًا إلا كفاه مؤنته ، ومؤنه .. وكان يزوج أيا ما هم ، ويخدم عائلهم ، ويقضى دين غارمهم .

ولقد كان يرسل إلى السيدة عائشة - رضى الله عنها - إذا جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف درهم ^(٤) .

(١) الطبرانى فى الكبير ١/ ١٩٥ قال فى المجمع ٩/ ١٤٨ رجاله ثقات.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٣١ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٣١ .

(٤) الطبقات الكبرى ٣/ ١١٦ .

ويقول السائب بن يزيد : (صحبت طلحة بن عبيد الله في السفر والحضر فما وجدت أحداً أعم سخاء على الدرهم ، والثوب ، والطعام من طلحة !)^(١).

وكان - رضى الله عنه - (يلبس رداءً نفيساً ، فبينما هو يسير إذا رجل قد استله منه ، فقام الناس فأخذوه منه ، فقال طلحة : ردوه عليه ، فلما رآه الرجل خجل منه ورمى به إلى طلحة . فقال طلحة : خذه بارك الله لك فيه ، إني لأستحي من الله أن يؤمل في أحد أمتلاً فأخيب أمله)^(٢).

وسمع عليّ - رضى الله عنه - رجلاً ينشد :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا هو ما استغنى ويبعده الفقر

فقال علي : ذلك أبو محمد ، طلحة بن عبيد الله .

● مقتله ●

لما حضر يوم الجمل واجتمع به على فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف فجاء سهم غرب - أى طائش - فوقع في ركبته ، وقيل : في رقبته والأول أشهر ، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمع به حتى كاد يلقيه وجعل يقول : إني عباد الله ، فأدرکه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها .. ويقال أنه مات بالمعركة ، وإن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال : (رحمة الله عليك يا أبا محمد يعز عليّ أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء ثم قال : إلى الله أشكو سرائري وأحزاني والله لوددت أنى كنت مثق قبل هذا اليوم بعشرين سنة)^(٣).

● وكان مقتله - رضى الله عنه - يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة وهو ابن اثنين وستين سنة أو نحوها وقبره بظاهر البصرة^(٤).



(١) المصدر السابق ٣/ ١٦٧ .

(٢) مناقب العشرة ٧٢٠ .

(٣) البداية والنهاية ٧/ ٢٢٥٨ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ٣١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠ .

(٦)

الزيرين العوام

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

● اسمه ونسبه ●

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب .
أمه : صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ ، فهو ابن عمه رسول الله ، وابن أخو السيدة خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - زوج النبي ، ويكنى أبا عبد الله ، وكانت أمه تكنيه أبا الطاهر .. مات أبوه العوام وهو صغير ، وكان نوفل بن خويلد - عمه - يلى ابن أخيه الزبير ، وكانت أمه صفية تضربه ، وهو صغير ، وتغلظ عليه فعاتبها نوفل وقال : ما هكذا يُضرب الولد ، إنك لتضريه ضرب مبغضة ، فرجرت به صفية فقالت :

من قال إنى أبغضه فقد كذب وإنما أضربه لكى يَدِبَ
ويهزم الجيش ويأتى بالسلب ولا يكن لما له خبا يخب^(١)

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - ربعة أسمر اللون ، خفيف اللحية والعارضين ، أشعر ، وكان لا يغير شيبه . وقيل كان طويلاً تحط رجلاه الأرض إذا ركب ، وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : (كان الزبير طويلاً تحط رجلاه الأرض إذا ركب الدابة ، أشعر وربما أخذت بشعر كتفيه)^(٢) .

● كان - رضى الله عنه - شجاعاً ، قاتل وهو غلام بمكة رجلاً فكسر يده ، فمُر بالرجل محمولاً على صفية أم الزبير فسألت عنه فقيل لها ما حدث .
فقالت : كيف رأيت زبيراً ؟ أأقطا وتمراً ، أم مُشمِعلاً سقراً ؟^(٣) .

● إسلامه ●

أما عن إسلامه فقد أسلم الزبير مبكراً وهو ابن خمس عشر سنة ، وكان إسلام الزبير بعد إسلام أبى بكر ، وكان رابعاً أو خامساً ، فهو أحد السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام ،

(١) الإصابة ٧/٣ .

(٢) الطبرانى فى الكبير ١/٢٢٥ .

(٣) الإصابة ٨/٣ ومشمِعلاً الرجل الخفيف ، السقر وهو الصقر يُضرب به المثل فى الحذر والشدة .

وأسهموا مع طليعته المباركة في دار الأرقم . وعلى الرغم من شرف الزبير .. ومكانته في قومه ، فقد عذب حين أسلم وكان الذى تولى تعذيبه عمه .. فكان يلفه في حصير ، ويدخن عليه بالنار حتى تزهق أنفاسه ، ويناديه وهو تحت وطأة العذاب : « اكفر بدين محمد لتنجو من العذاب .. فيجيبه الزبير في عزم وإصرار وتحدي رهيب .. لا .. والله لن أعود للكفر أبداً »^(١) .

ولما يئس عمه أن يثنيه عن دينه ، ويعيده إلى الكفر بعد أن استخدم معه شتى أساليب التعذيب تركه وشأنه .. وهكذا ثبت الزبير بن العوام ، فلم يحشو ولم يخضع ، وخرج من أول امتحان له قوياً ، وثابتاً ، صامداً ، وضارباً أروع الأمثلة في التضحية والفداء .. !

● في طليعة المهاجرين إلى الحبشة ●

(وتمضى الأحداث ، وتمر الأيام والشهور واضطهاد قريش للرسول ﷺ وأصحابه يزداد يوماً بعد يوم ، حتى نبا بهم المقام في مكة ، وأوعزتهم هذه الاضطهادات أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم .. وفي وسط هذه الساعة الضنكة الحالكة السواد نزلت سورة الزمر^(٢) .. نزلت تشير إلى الهجرة وتعلن بأن أرض الله واسعة وليست بضيقة .. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . [الزمر : ١٠]

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على أن يحميهم ، ويمنع عنهم هذا العذاب ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه .. ! فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً بدينهم . وكان في طليعة المهاجرين : عثمان بن عفان وزوجته رقية ، بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة وزوجته ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير حتى اجتمع في أرض الحبشة بضعة وثمانون رجلاً . وهكذا كان الزبير - رضى الله عنه - في طليعة المهاجرين إلى الحبشة فراراً بدينه !

(١) الطبراني في الكبير ٢٣٩/١ بنحوه وقال في المجمع رجاله ثقات إلا أنه مرسل .

(٢) صور من حياة الصحابة ٢٢٣ .

● من مناقبه ●

قال عنه أبو نعيم في الحلية :

(الزبير بن العوام الثابت القوّام ، صاحب السيف الصارم ، والرأى الحازم ، كان لمولاه مستكيناً ، وبه مستعيناً ، قاتل الأبطال ، وبازل الأموال ..)^(١).

● هاجر الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها بقوة وعزم وثبات جنان وشهامة وحسبة . وهو أحد العشرة ، وأحد الستة الذين جعل عمر - رضى الله عنه - أمر الخلافة شورى بينهم ، وأول من سل سيفاً في سبيل الله ، ففى الأيام الأولى للإسلام ، والمسلمون يومئذ قلة يستخفون في دار الأرقم .. سرت إشاعة ذات يوم أن الرسول ﷺ قُتل .. فما كان من الزبير إلا أن استل سيفه فتلقاه النبي ﷺ فقال : مالك يا زبير ؟ قال : سمعت أنك قد قُتلت ، فقال : فما كنت صانعاً يا زبير ؟ قال : أردت والله أن أستعرض أهل مكة . وقد دعا له النبي ﷺ ولسيفه .

● قال عنه النبي ﷺ : (إن لكل نبي حوارياً ، وإن حوارياً الزبير بن العوام)^(٢) . وجمع له النبي ﷺ أبويه يوم قريظة فقال الرسول ﷺ : (بأبى وأمى)^(٣) وأعطاه سيفه يقاتل به يوم بدر ، وكانت على رأسه عمامة صفراء يوم بدر ، فنزلت الملائكة على سيماء ، وكسى النبي ﷺ والصدّيق ثياباً بيضاء حين لقياه في هجرتها وهو عائد من تجارة له في الشام .

● وعن الثوري قال : (هؤلاء الثلاثة نجدة الصحابة : حمزة بن عبد المطلب ، وعلى ابن أبى طالب ، والزبير بن العوام)^(٤) .

● وكان من أحب الصحابة إلى رسول الله ﷺ ، قال عنه عثمان : أما والذي نفسى بيده إنه لخيرهم ما علمت ، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ^(٥) . توفي رسول الله وهو عنه راضٍ ، فقد قال عمر : إنهم يقولون استخلف علينا ، فإن حدث لى حدث فالأمر فى هؤلاء الستة الذين فارقهم الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وعدّ منهم الزبير .

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٩ .

(٢) البخارى ٣٧١٩ والحوارى هو الذى يصلح للخلافة قاله قتادة وقيل هو الناصر قاله ابن عيينة .

(٣) صحيح سنن الترمذى ٢٩٤٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٥٢ .

(٥) صحيح البخارى ٣٧١٧ .

● وكان من الذين نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ولقد مدحه حسان بن ثابت فقال :
أقام على عهد النبي وهديته
أقام على منهاجه وطريقه
هو الفارس المشهور والبطل الذي
له من رسول الله قربي قريبة
فكم كربة ذب الزبير بسيفه
فما مثله فيهم ولا كان قبله
ثناؤك خير من فعال معاشر
حواريه والقول بالفعل يعدل
يوالى ولي الحق والحق أعدل
يصول إذا ما كان يوم محجل
ومن نصره الإسلام مجد مؤئل
عن المصطفى والله يعطى ويجزل
وليس يكون الدهر ما دام يذبل
وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

● قال أبو إسحاق السبيعي : (سألت مجلساً فيه أكثر من عشرين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ : من كان أكرم الناس على رسول الله ؟ قالوا : الزبير وعلى ابن أبي طالب)^(١).

● ومن مناقبه - رضى الله عنه - أنه صحب الصديق فأحسن صحبته .. وتزوج ابنته أسماء وابنه عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة ، وخرج مع الناس مهاجراً فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره ، وكانت له اليد البيضاء والهمة العليا ، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلى آخرهم ، وكان من جملة من دافع عن عثمان - رضى الله عنه - . وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : لو عهدت عهداً ، أو تركت تركة لكان أحب إلي من أن أجعلها إلى الزبير بن العوام ، فإنه ركن من أركان الدين .

● ورعه ●

عن عبد الله بن الزبير قال : قلت للزبير ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث أصحابه ؟ قال : أما والله لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكنى سمعته يقول : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »^(٢).

وفي رواية : والله لقد كان لى منه منزلة ووجهة ولكنى سمعته يقول : وذكر الحديث .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٥١٤ / ٢ .

(٢) البخارى ٣٤٦١ .

● وقد أوصى إلى الزبير سبعة من الصحابة منهم عثمان وابن مسعود ، وعبد الرحمن ابن عوف ، فكان ينفق على الورثة من ماله ، ويحفظ أموالهم ^(١) .

● زهده ●

● عن نهيك قال : كان للزبير - رضى الله عنه - ألف مملوك يؤدون إليه الخراج وكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله ليس معه شيء .

● وعن هشام بن عروة عن عروة أن الزبير - رضى الله عنه - بُعث إلى مصر فقبل له إن بها الطاعون فقال : إنما جئت للطعن والطاعون ^(٢) .

● وعن قيس بن أبي حازم قال : سمعت الزبير يقول : (من استطاع أن تكون له خبيثة من عمل صالح فليفعل) ^(٣) .

● وعن علي بن زيد قال : (أخبرني من رأى الزبير بن العوام وإنّ في صدره لأمثال العيون من الطعن والرمي) ^(٤) .

● وعن جويرية قالت : (باع الوزير دارًا له بستمائة ألف . قال : فقيل : يا أبا عبد الله غُبت ، قال : كلا والله لتعلمنّ أنى لم أغبن .. هى فى سبيل الله ..) ^(٥) .

● وعن عروة عن عائشة - رضى الله عنها - قال : قالت : إن كان أبوك ^(٦) من ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٧) .

● شجاعته ●

كان - رضى الله عنه - فارسًا مقدامًا منذ صباه .. فلقد كان يوم اليرموك جيشًا وحده .. فحين رأى أكثر المقاتلين الذين كانوا على رأسهم يتقهقرون أمام جبال الروم الزاحفة صاح

(١) سير أعلام النبلاء ٥٥ / ٩ . (٢) أحمد في الزهد ١٧٩ .

(٣) أحمد في الزهد ٧٩ . (٤) أحمد في الزهد ١٧٩ .

(٥) صفة الصفوة ١ / ١٠٨ . (٦) أحمد في الزهد ١٧٩ .

(٧) سورة آل عمران ١٧٢ .

« الله أكبر » .. واخترق تلك الجبال الزاحفة وحده ضارباً بسيفه .. ثم عاد راجعاً وسط الصفوف الرهيبة ذاتها وسيفه يتوهج في يمينه لا يكبو .. ولا يجبو .. ! وكان - رضى الله عنه - شديد الولع بالشهادة ، عظيم الغرام بالموت في سبيل الله .. وكان يقول : (إن طلحة ابن عبيد الله يسمى بنيه بأسماء الأنبياء ، وقد علم ألا نبى بعد محمد .. وإنى لأسمى بنى بأسماء الشهداء لعلمهم يستشهدون .. !

● وها هو في غزوة أحد ..

فعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان بن حرب : يا معشر الأوس والخزرج ، خلّو بيننا وبين بنى عمنا ، ونصرف عنكم ، فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن .. وخرج رجل من المشركين على بعير له ، فدعا إلى البراز ، فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثة فقام إليه الزبير .. فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه ، فاقتتلا فوق البعير ، فقال رسول الله ﷺ : الذى يلى حضيض الأرض مقتول ، فوقع المشرك ، فوقع عليه الزبير فذبحه فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال : لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه^(١) .

كانت مزيته كمقاتل تتمثل في اعتماده التام على نفسه وفي ثقته الكاملة بها ، فلو كان يشاركه في القتال مائة ألف ، لرأيته يقاتل وكأنه وحده في المعركة .. وكان مسئولية القتال والنصر تقع على عاتقه وحده .. وكانت فضيلته كمقاتل ، تتمثل في الثبات وقوة الأعصاب .. وحين طال حصار « بنى قريظة » دون أن يستسلموا أرسله الرسول ﷺ مع على ابن أبى طالب فوقف أمام الحصن المنيع يردد مع على قوله : والله لنذوقن ما ذاق حمزة أو لنفتحن عليهم حصنهم . ثم ألقيا بنفسيهما وحيدتين داخل الحصن .. وبقوة أعصاب مذهلة ، أحكما إنزال الرعب في أفئدة المتحصنين داخل الحصن وفتح أبوابه للمسلمين .. وهكذا كان الزبير .. فكما قال عنه أبو نعيم في الحلية : صاحب السيف الصارم والرأى الحازم .. قاتل الأبطال ، وباذل الأموال .. !

(١) السيرة الحلبية ٤٩٧ .

● مقتله ●

لما كان يوم الجمل وذكره على بما ذكره به فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة ، لقيه ابنه عبد الله فقال : جُبْنَا جُبْنَا ، فقال الزبير : قد علم الناس أني لست بجبان ، ولكن ذكرني على شيئاً سمعته من رسول الله ، فحلفت لا أقاتله ، ثم قال :

ترك الأمور التي أخشى عواقبها في الله أحسن في الدنيا والدين
وقيل إنه أنشد :

ولقد علمت لو أن علمي نافع أن الحياة من الممات قريباً

وهو عائد إلى المدينة ، مرقوم فيهم الأحنف بن قيس ، وكانوا قد انعزلوا عن الفريقين .. فقال قائل يقال له الأحنف : ما بال هذا جمع بين الناس حتى إذا التقوا كَرَّ راجعاً إلى بيته ؟ هل من رجل يكشف لنا خبره فاتبعه عمرو بن جرموز فأدركه في وادٍ يقال له «واد السباع» وهو نائم في القائلة فقتله ، وهذا هو الأشهر !..

ولما قُتل الزبير رثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت آخر من تزوجها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة	يوم اللقاء وكان غر معرد
يا عمرو لو نهبت لوجدته	لا طائشاً رعد الجنان ولا أكيد
ثكلتك أمك أن ظفرت بمثله	من بقى ممن يروح ويغتدى
إن الزبير كذو بلاء صادق	سمح سحيته كريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه	عنها طرادك يا ابن فقح الغرقد
والله ربى إن قتلت لمسلماً	حلت عليك عقوبة المتعمد !

● ولما قتله عمرو بن جرموز احتز رأسه وذهب به إلى ابن أبي طالب ، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال على : لا تأذنوا له بشروه النار !..

● وقيل إن ابن جرموز عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاخترى ابن جرموز منه ، فقبل لمصعب : إن ابن جرموز ها هنا ، وهو مخنف فهل لك فيه ؟ فقال : مصعب مروءة فليظهر فهو آمن ، والله ما كنت لأقتص للزبير منه .. فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير !!

● وقيل أيضاً إن مصعب قال : أنا أقتل ابن جرموز ؟ .. ولا يشع نعله .
ولقد كان مقتله - رضى الله عنه - يوم الخميس لعشرة خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، وقد نيف على الستين بست أو سبع^(١) .



(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ٦٤ ، والطبقات لابن سعد ٣/ ١٤٣ .

(٧)

عبد الرحمن بن عوف

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

● اسمه ونسبه ●

هو عبد الرحمن عوف بن ثابت بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشى ، ويكنى أبا محمد .

أمه : الشفاء بنت عوف .. يقال إنها هي التي تولت ولادة النبي ﷺ وكانت قابليته ، أسلمت وهاجرت .

وكان اسم عبد الرحمن - رضى الله عنه - في الجاهلية عبد عمرو ، وقيل عبد الحارث ، وقيل عبد الكعبة ، فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن وسماه أيضاً الصادق البار .. قال عن نفسه : (كان اسمى في الجاهلية عبد الكعبة فسمانى رسول الله ﷺ عبد الرحمن)^(١) .

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - طويلاً حسن الوجه ، منضور الطلعة ، رقيق البشرة ، أبيض اللون مشرباً بحمرة ، لا يغير لحيته ولا رأسه ، ضخم الكفين ، غليظ الأصابع ، أقنى^(٢) له جمة أسفل أذنيه ، واسع العينين ، طويل شعر الأجناف ، وقال ابن اسحاق : كان ساقط الثنيتين ، أعرج ، أصيب يوم أحد فهُتَم وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعرج !! ..

● إسلامه ●

أسلم - رضى الله عنه - قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم .. فهو أحد السابقين إلى الإسلام .. وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر .. وأحد الستة أصحاب الشورى يوم اختيار الخليفة بعد الفاروق عمر - رضى الله عنه - وأحد نفر الذين كانوا يفتون في المدينة ورسول الله ﷺ حتى قائم بين بين ظهراى المسلمين .. أسلم بعد إسلام الصديق بيومين ، وأسلم معه أخوه لأبويه الأسود .

(١) الطبرانى فى الكبير ١/ ٢٥٤ ، والحاكم فى المستدرک ٣/ ٣٠٦ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

(٢) أسد الغابة ٣/ ٤٨٠ وأقنى : طويل الأنف ، والجمة : شعر الرأس الساقط على المنكبين .

● ولما أسلم عبد الرحمن بن عوف قال : وأنا الذي أقول في إسلامي :

أجبت منادى الله لما سمعته	ينادى إلى الدين الحنيف المكرم
فقلت له بالبعد لييك داعيًا	إليك متابيًا ، بل إليك تيئم
أجوب الفيافي من أفويق حمير	على خلعم ^(١) خلد القوائم صلقم
بأنباء صدق علمتها موفق	ولا العلم إلا باطلاب التعلم
فكم مخبر بالحق في الناس ناصح	وأخر أفاك كثير التوهم
ألا إن خير الناس في الأرض كلهم	نبى جلاعنا شكوك الترجم
نبى أتى والناس في أعجوبة	وفي سدف في ظلمة الكفر معتم
فأقشع بالنور المضى ظلامه	وساعده في أمره كل مسلم
وخالف الأشتون من كل فرقة	فسحقا لهم في مهوى جهنم ^(٢)

● في طليعة المهاجرين ●

وبعد إسلامه لقي من العذاب في سبيل الله ما لقيه المسلمون الأوائل ، فصبر وصبروا وثبت وثبتوا ، ، وفرّ بدينه إلى الحبشة ، وهاجر إلى المدينة ، وكان في طليعة المهاجرين ، ولما أخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى ، فقال سعد لأخيه عبد الرحمن بن عوف : أى أخى : أنا أكثر أهل المدينة مالاً وعندى بستانان ، ولّى امرأتان فانظر أى بستانى أحب إليك حتى أخرج لك عنه ، وأى امرأتى أرضى عندك حتى أطلقها لك .

فقال عبد الرحمن بن عوف لأخيه سعد بن الربيع بارك الله لك فى أهلك ومالك دلنى على السوق .. فدلّه على السوق فجعل يتجر وأخذ يشتري ، ويبيع ، ويربح حتى صار من أغنياء المدينة فتزوج فقال له : (النبى ﷺ) : وما أعطيت زوجتك من المهر ؟ قال : وزن نواة من الذهب .. قال : أو لم ، ولو بشاة^(٣) .

قال عبد الرحمن : فأقبلت الدنيا علىّ حتى رأيتنى لو رفعت حجراً لوجدت تحته فضة وذهباً .

(١) الخلع : الضخم من الإبل . (٢) تاريخ دمشق ٣٥ / ٢٥٣ .

(٣) البخارى ٣٧٨١ بنحوه عن أنس .

● من مناقبه ●

كان - رضي الله عنه - من قديمى الإسلام والهجرة ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، وثبت يوم أحد ، وأصابته عشرون جراحة فهتم وعُرج ، وهو أحد العشرة وأحد الستة أهل الشورى الذين ، أخبر عمر أن رسول الله ﷺ توفى وهو عنهم راضٍ ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبوبكر ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ومن المفتين في عهد رسول الله ﷺ وأرسله النبي ﷺ إلى بنى كلب بدومة الجندل وعممه بيده وسد لها بين كتفيه ، ومن مناقبه أن الرسول ﷺ صلى خلفه . فعن عمرو بن وهب الثقفي قال : (كنا مع المغيرة بن شعبه فسل : هل أم النبي أحدٌ من هذه الأمة غير أبي بكر ؟ فقال : نعم ، فذكر أن النبي ﷺ توضأ ومسح على خفيه وعمامته وصلى خلف عبد الرحمن بن عوف وأنا معه ركعة من الصبح ، وقضينا الركعة التي سُبِقنا^(١) .

● ومن مناقبه أنه من أهل هذه الآية : ﴿ لقد رضي الله على المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ [الفتح: ١٨] .

● ومن مناقبه : أن الرسول ﷺ قال : (خياركم خياركم لنسائي فأوصى لهم عبد الرحمن ابن عوف بحديقة قومت بأربعمائة ألف)^(٢) .

● أخبر النبي ﷺ (أنه سبقت له السعادة وهو في بطن أمه : ووصفه بقوة الإيمان وأخبر أنه أمين في الأرض)^(٣) . وقال : (سقى الله عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة)^(٤) .

● وعن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه قال : (قال المسور بن مخرمة : بينما أنا أسير في ركب فيه عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف قدامى وعليه خميصة سوداء ، فقال عثمان ابن عفان : من صاحب الخميصة السوداء ؟ قالوا : عبد الرحمن بن عوف ، فناداني عثمان يا مسور ، فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين . فقال : من زعم أنه خير من خالك في الهجرة الأولى والثانية فقد كذب)^(٥) .

(١) أحمد في المسند ٢٤٦/٤ .

(٢) الحاكم في المستدرك ٣/٣١١ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٣) الحاكم في المستدرك ٣/٢١٠ .

(٤) الحاكم في المستدرك وصححه ٣/٣١١ ، وهو في الصحيحة للألباني ١٥٩٤ .

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥/٢٥٣ .

● جوده وسخاؤه ●

أما عن جوده وسخاؤه، فقد كان كثير الأموال، متين الحال، تجود يده بالعطيات، وهو قدوة ذوى الثروة والجدات، فى الانفاق على المتقشفين من ذوى الفاقات .. !

عن ابن عباس قال : (جئت إلى رسول الله ﷺ بعد خروجه من الطائف ستة أشهر، ثم أمره الله عز وجل بغزوة تبوك - وهى آخر غزوة غزاها فى حياته - وهى الغزوة التى ذكر الله ساعة العسرة وذلك فى حر شديد، فقد كثر النفاق، وكثر أصحاب الصفة، والصفة بيت كان لأهل الصدقة يجتمعون فيه فتأتيهم صدقة النبى والمسلمين، وإذا حضر غزو عمد المسلمون إليهم فاحتمل الرجل الرجل، أو ما شاء الله بشبعه، فجهزهم، وغزوا معهم، واحتسبوا عليهم، فأمر رسول الله المسلمين بالنفقة فى سبيل الله والحسبة، فأنفقوا احتساباً، وأنفق رجال غير محتسبين، وحمل رجال من فقراء المسلمين، وبقي أناس وأفضل ما تُصدق به أحد يومئذ : عبد الرحمن بن عوف تصدق بما تئى أوقية .. وقال عمر : يا رسول الله : إني لأرى عبد الرحمن ابن عوف إلا قد اخترب ماله، ما ترك لأهله شيئاً .. فسأله رسول الله ﷺ : تركت لأهلك شيئاً ؟ قال : نعم أكثر مما أنفقت وأطيب، قال : كم ؟ قال : ما وعد الله ورسوله من الخير والرزق ... (١) .

● ولقد بلغ من جوده وسخاؤه بالمسلمين وأمهات المؤمنين، أنه باع أرضاً له بأربعين ألف دينار فقسمها وجاد بها . فعن أم بكر بنت المسور : (أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسمها فى فقراء بنى زهرة وفى المهاجرين، وأمهات المؤمنين . قال المسور : فأتيت عائشة بنصيبها، فقالت : من أرسل بهذا ؟

قلت : عبد الرحمن بن عوف ! قالت : أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يحنو عليكم بعدى إلا الصابرون، سقى الله بن عوف من سلسبيل الجنة) (٢) .

● ولقد بلغ من سعة عطاءه وعونه أنه كان يقال : أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف فى ماله .. فعن طلحة بن عبيد الله بن عوف قال : (كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف ثلث يقرضهم ماله .. وثلث يقضى دينهم .. وثلث يصلهم ويعطيهم) (٣) .

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٦٢ / ٣٥ .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٢٤٦٠٥، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح وهو فى الصحيحة للألبانى ١٥٩٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٨٨ / ١ .

● سرية دومة الجندل ●

(بعث رسول الله ﷺ إلى عبد الرحمن بن عوف فأقعه بين يديه وعممه بيده وقال : تجهز ، فإني باعثك في سرية من يومك هذا أو من الغد إن شاء الله ، ثم أمره أن يسرى من الليل إلى دومة الجندل في سبعمائة ، وعسكروا خارج المدينة ، فلما كان وقت السحر ، جاء عبد الرحمن ابن عوف إلى رسول الله وقال : أحببت أن يكون آخر عهدي بك ، وكان على رأسه عمامة من قطن قد لفها على رأسه ، فنقضها رسول الله ﷺ بيده ثم عممه بعمامة سوداء وأرخصي بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحوًا من ذلك ثم قال : هكذا يا ابن عوف فاعتم فإنه أحسن وأعرف .. ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء ، فدفعه إليه ، وقام ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على نفسه ، ثم قال : خذه يا ابن عوف . وقال : اغز بسم الله وفي سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ولا تغل ، ولا تغدر فهذا عهد الله وسنة نبيكم فيكم ، ثم قال ﷺ : إذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم .. فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل ، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، وهم يأبون .. ويقولون: لا نعطي إلا السيف .. وفي اليوم الثالث أسلم ملكهم الأصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيًا ، وأسلم معه ناس كثير من قومه .. فأرسل عبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله يعلمه بذلك .. وأنه يريد أن يتزوج ابنة ملكهم .. فكتب إليه رسول الله ﷺ أن تزوج بنت الأصبغ ، فتزوجها وبني بها عندهم وقدم بها إلى المدينة ، وهي أم ولده سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف .. ولم تلد غير سلمة (١) .

● زهده وورعه ●

● عن سعيد أن (سعد بن أبي وقاص أرسل إلى عبد الرحمن بن عوف رجلاً وهو قائم يخطب - وذلك في أمر الشورى - أن ارفع رأسك إلى أمر الناس - أى ادع إلى نفسك - فقال عبد الرحمن : ثكلتك أمك !! إنه لن يلي هذا الأمر بعد عمر إلا لامة الناس (٢) .

● وعن أم بكر عن أبيها المسور قال : (لما ولي عبد الرحمن بن عوف الشورى كان أحب الناس إليه أن يليه ، فإن ترك فسعد .. فلحقني عمرو بن العاص فقال : ما ظن خالك - وكان عبد الرحمن خال المسور - عبد الرحمن بالله إن ولي هذا الأمر أحدًا وهو يعلم أنه خير منه .. ؟

(١) السيرة الحلبية ٣/ ١٨٣ ، تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥/ ٢٦١ ، والطبقات لابن سعد ٣/ ٦٨ .

(٢) سيرة أعلام النبلاء ١/ ٧٨ .

قال المسور : فأتيت عبد الرحمن بن عوف فذكرت ذلك له . فقال : (والله لأن تؤخذ مسدية فتوضع في حلقي ، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلي من ذلك ..)^(١) .

● وعن عبد الرحمن بن أزهر عن أبيه عن جده .. (أن عثمان اشتكى رعا فادعا حمران إلى عبد الرحمن بن عوف بالبشرى ! فقال ابن عوف : وما ذاك ؟ قال ؟ إن عثمان قد كتب لك العهد من بعده ! فقام عبد الرحمن بين القبر والمنبر ، فدعا فقال : اللهم إن كان من تولية عثمان إياي هذا الأمر ، فأمتني قبله .. فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله .. !!)^(٢) .

● ولقد أوتى ذات يوم بطعام - وهو صائم - فنظر إليه ثم قال : (لقد قُتل مصعب بن عمير - وهو خير مني - فما وجدنا له إلا بردة .. إن غطى رأسه بدت رجلاه .. وإن غطى رجلاه بدت رأسه .. وقال قُتل حمزة - وهو خير مني - ثم بسط الله لنا من الدنيا ما بسط - أو قال - أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا .. ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام .. !!)^(٣) .

● توليه أمر الحج ●

لما استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة (بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن ابن عوف فحج بالناس .. وحج مع عمر أيضًا آخر حجة سنة ثلاث وعشرين .. وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبي ﷺ في الحج ، فحملن في الهوداج ، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف .. فكان عثمان يسير على راحلته أماهين فلا يدع أحدًا يدنو منهن ، وكان عبد الرحمن بن عوف يسير من ورائهن فلا يدع أحدًا يدنو منهن ، ولما استخلف عثمان سنة أربع وعشرين .. بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس)^(٤) .

● وفاته ●

لما حضرت عبد الرحمن بن عوف الوفاة أعتق خلقًا كثيرًا من مماليكه .. وأوصى لكل رجل بقى من أهل بدر بأربعمئة دينار ذهبًا ، وكان عددهم مائة .. وأوصى لكل واحدة من أمهات

(١) الطبقات لابن سعد ٩٤ / ٣ - ٩٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١ / ٨٨ .

(٣) صفة الصفوة ١ / ١١١ . (٤) الطبقات لابن سعد ٣ / ١٠٠ .

المؤمنين بهال كثير .. وتوفي - رضى الله عنه - سنة اثنين وثلاثين من الهجرة وهو يومئذ ابن خمس وسبعين سنة .. وكان سعد بن مالك عند قائمتي سرير عبد الرحمن وهو يقول: واجبلاه.. ووضع السرير على كاهله.. وقال على بن أبي طالب يوم مات عبد الرحمن بن عوف: اذهب ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت كدرها!! وصلى عليه عثمان بن عفان.

● عن أيوب بن محمد: (أن عبد الرحمن بن عوف توفي وكان فيما ترك ذهب قُطْع بالفؤوس حتى مجلت منه أيدي الرجال ، وترك أربع نسوة صولحات بثمانين ألفاً)^(١).



(٨)

سعد بن أبي وقاص

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

هو سعد بن مالك ، وهو سعد بن أبي وقاص .. واسم أبي وقاص .. هو مالك بن وهب وقيل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب .. يجتمع مع النبي ﷺ في مرة ، وينسب إلى زهرة بن كلاب فيقال : القرشي الزهري .. ويجتمع مع عبد الرحمن بن عوف في زهرة .. ويُكنى أبا إسحاق ..

أمه : حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس (١).

كان سعد خال النبي ﷺ يدل على ذلك ما جاء عن جابر - رضى الله عنه - قال : (كنا مع رسول الله إذ أقبل سعد بن مالك فقال رسول الله : هذا خالي فليرني امرؤ خاله) (٢).
قال الذهبي : (لأن أم النبي ﷺ زهرية ، وهى أمنة بنت وهب بن عبد مناف ابنة عم أبي وقاص) (٣).

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - (رجلاً قصيراً ، دحاحاً ، غليظاً ، ذا هامة ، شثن الأصابع ، أشعر ، وكان يخضب شعره بالسواد) (٤).

● إسلامه ●

أسلم قديماً قبيل أن تفرض الصلاة ، وكان يومئذ يستقبل ربيعة السابعة عشر .. قال عن نفسه : (ما أسلم أحد إلا في اليوم الذى أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام) (٥). وهكذا كان إسلامه مبكراً .. ولكن إسلام سعد بن أبي وقاص لم يمر سهلاً هيناً

(١) أسد الغابة ٢/ ٢١٤ ترجمة رقم ٢٠٣٧ .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٥١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١/ ١١٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٩٧ .

(٥) البخارى ٣٧٢٧ .

وإنما عرض الفتى المؤمن لتجربة من أقسى التجارب قسوة.. وأعنفها عنفاً.. حتى إنه بلغ من قسوتها وعنفها أن أنزل الله سبحانه في شأنها قرآناً.. وها هو يقص: علينا هذه التجربة الفذة.. قال: (كنت برأ بأمرى فلما أسلمت ، قالت : يا سعد ! ما هذا الدين الذي أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا أو لا تأكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي ، فيقال : يا قاتل أمه ، قال : فقلت : لا تفعل يا أمه إنني لا أدع ديني هذا شيء ، فمكثت يوماً لا تأكل ولا تشرب وليله - وفي رواية للترمذي - فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فهاها - وأصبحت وقد جهدت ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه ! تعلمين والله لو كان لك مائة نفس ، فخرجت نفساً نفساً ، ما تركت ديني . إن شئت فكلّي أو لا تأكل . فلما رأيت ذلك أكلت ... !)^(١) فأنزل الله فينا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان : ١٥] .

(وهكذا انتصر الإيمان على فتنة القرابة والرحم .. واستبقى البر والإحسان .. وإن المؤمن لعرضة لمثل هذه الفتنة في كل آن فليكن بيان الله .. وفعل سعد هما راية النجاة والأمان فالؤمنون أهل ورفاق ولو لم يعقد بينهم نسب ولا صهر . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٩] .

.. وهكذا يعود الموصولون بالله جماعة واحدة .. كما هم في الحقيقة .. وتذهب روابط الدم والقرابة والنسب والصهر .. وتنتهي بانتهاى ، الحياة الدنيا .. فهي روابط عارضة لا أصلية .. وانقطاعها عن العروة الوثقى التي لا انفصام لها ..)^(٢) .

باختصار موقف سعد نستطيع تلخيصه في كلمتين .. كلمتين فقط !! الولاء والبراء .. الولاء لله ورسوله .. والبراء من كل ما سواهما .. !!

● من مناقبه ●

كان - رضي الله عنه - من المهاجرين الأولين شهد بدرًا وما بعدها .. وكان يقال له فارس الإسلام . وهو أحد العشرة .. وأحد السبعة السابقين إلى الإسلام .. وأحد الستة أصحاب الشورى .. وكان يحرس النبي ﷺ في مغازيه . فعن عائشة قالت : (سهر رسول الله

(١) صحيح مسلم ١٧٤٨ .

(٢) الظلال للشهيد سيد قطب ٥/ ٢٧٦٦ .

مقدمه المدينة ليلة فقال : ليت رجلاً صالحاً يحرسنى الليلة . قالت : فبينا نحن كذلك إذ سمعنا خشخشة السلاح ، فقال : من هذا ؟ فقال : سعد بن أبي وقاص ، فقال له النبي ﷺ : ما جاء بك ؟ فقال : وقع في نفسى خوف على رسول الله فجئت أحرسه ، فدعا له رسول الله ، ثم نام^(١) .

● وجمع له النبي ﷺ أبويه يوم أحد فقال : (ارم سعد ! فداك أبى وأمى)^(٢) ودعا له أيضاً فقال : (اللهم استجب لسعد إذا دعاك)^(٣) .

● دعى له النبي بالشفاء من مرضه فشفى ، فعن عائشة بنت سعد قالت : (قال سعد : اشتكيت بمكة فدخل على رسول الله يعودنى ، فمسح وجهى وصدرى وبطنى ، وقال : اللهم اشف سعدًا ، فما زال يخیل إلى أنى أجد برد يده ﷺ على كبدى حتى الساعة)^(٤) .

● كان أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، ولقد بعث رسول الله سرية فيها سعد إلى جانب من الحجاز يدعى رابغ ، وهو من جانب الجحفة ، فلما انكفأ المشركون على المسلمين حماهم سعد يومئذ بسهامه ، فكان أول قتال فى الإسلام . وفى هذا قال سعد :

ألا أنبئ رسول الله أنى حميت صحابتي بصدور نبلى
فما يُعتدُّ رام فى عدو بسهم يا رسول الله قبلى

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال : (كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين - أى قتلاً - فقال رسول الله : ارم فداك أبى وأمى ، فنزعت سهم ليس فيه نصل فأصبت جبهته ، فوقع وانكشفت عورته ، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه)^(٥) .

● أثنى عليه عمر ، وأهله للخلافة .. وكان أميراً على الجيوش الذين هزموا الفرس فى القادسية ، وبجلولاء ، وفتح مدائن كسرى والعراق .. وقد نزل فيه وبسببه آيات من كتاب الله

(١) صحيح سنن الترمذى ٢٩٥٤ .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٥٣ .

(٣) صحيح سنن الترمذى ٢٩٥٠ .

(٤) صحيح البخارى ٥٦٥٩ .

(٥) صحيح مسلم ٢٤١٢ .

منها: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥] . وقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ [الأنفال: ١] ، وهو من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢] .

● وسأل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب عن خبر سعد بن أبي وقاص فقال :
(متواضع في خبائه ، عري في برده ، أسد في عرينه ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية)^(١) .

وقال الحسن : لما كان الهيج - أى لما كانت الفتنة - في الناس جعل رجل يسأل عن أفاضل الصحابة ، فكان لا يسأل أحداً إلا دله على سعد بن أبي وقاص .

● ومن مناقبه أنه اعتزل الفتنة وأمر أهل بيته ألا يخبروه عن شيء حتى تنجلي أحداثها .. فعن عمر بن سعد أن أباه سعداً ، كان في غنم له فجاء ابنه عامر ، فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما انتهى قال : يا أبة أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون الملك بالمدينة ، فضرب صدر عامر وقال : فإنني سمعت رسول الله يقول : (إن الله عز وجل يحب العبد التقي الغني الخفي)^(٢) .

● وقال عنه أبو نعيم في حلية^(٣) الأولياء :

(.. وأما سعد بن أبي وقاص فقديم السبق إلى الإسلام .. بدء أمره مقاساة الشدة ، واحتمال الضيقة ، وهو مع الرسول ﷺ بمكة هوّن عليه تحمل الأثقال ، ومقارفة العشيرة والمال ، لما باشر قلبه من حلاوة الاقبال ، ونصر على الأعداء بالمقاتلة والنضال ، وخص بالإجابة في المسألة والابتغال ، ثم ابتلى في حالة الإمارة والسياسة^(٤) ، وامتنح بالحجابه والحراسة ، ففتح على يديه السواد والبلدان ، ومنح عدة من الإناس والذكران ، ثم رغب عن العمالة والولاية ، وآثر العزلة والرعاية ، وتلافى ما بقى من عمره بالعناية ، فهو قدوة من ابتلى في حالة التلوين ،

(١) أسد الغابة ٢/ ٢١٦ .

(٢) مسلم ٢٩٦٥ .

(٣) ٩٢ / ١ .

(٤) سوف نتحدث عن ذلك قريباً .

وحجة من تحصن بالوحدة والعزلة مع التفتين إلى أن تتضح له الشبهة بالحجج والبراهين...!!). ا. هـ .

وأخباره - رضى الله عنه - في الشجاعة ، والشدة في دين الله واتباع السنة والزهد والورع وإجابة الدعوى والتواضع والصدق كثيرة واسعة^(١) .

● المجاب الدعوة ●

لقد كان - رضى الله عنه - مجاب الدعوة .. فقد دعا له النبي ﷺ فقال : (اللهم استجب لسعد إذا دعاك)^(٢) . فكان - رضى الله عنه - مجاب الدعوة ، ومن ذلك ما رواه أيضًا عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال : (شكأ أهل الكوفة سعدًا إلى عمر - رضى الله عنه - فعزله واستعمل عليهم عمارة فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى ، فأرسل إليه فقال : يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى . قال أبو إسحاق : أما أنا والله فإننى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أحرمت عنها ، أصلى صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الآخرين . قال : ذلك الظن بك يا أبا إسحاق . فأرسل معه رجلاً أو رجلاً إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون عليه معروفًا . حتى دخل مسجداً لبنى عبس ، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة ، قال : أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ولا يعدل عن القضية . قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءً وسمعة فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضه بالفتن . وكان بعد إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتنى دعوة سعد . قال عبد الملك : فإن رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجوارى في الطريق يعمزهن)^(٣) .

● وعن مصعب بن سعد : (أن سعدًا خطبهم بالكوفة فقال : يا أهل الكوفة ! أى أمير كنت لكم ؟ فقام رجل فقال : اللهم إن كنت ما علمتك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية ،

(١) الرياض المستطابة ٩٤ .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٥٠ .

(٣) البخارى ٧٥٥ واللفظ له ، مسلم ٤٥٣ .

ولا تغزو في السرية، فقال سعد : اللهم إن كان كاذبًا ، فأعم بصره ، وعجل فقره ، وأطل عمره ، وعرضه للفتن ، قال : فمات حتى عمى فكان يلتمس الجدران ، وافتقر حتى سأل الناس ، وأدرك فتنة المختار فقتل (١) .

● وعن مصعب بن سعد ، (أن رجلاً نال من علي - سبه - فنهاه سعد ، فلم ينته فدعا عليه ، فما برح جاء حتى بعير ناد فخطبه حتى مات (٢) .

● موقعة القادسية ●

(تولى الفاروق عمر الخلافة بعد الصديق وفي نيته أن يواصل مسيرة الفتوحات التي بدأت في عهد الصديق ، وكان المثنى بن حارثة يغير على أرض فارس .. ولقد قام المثنى - رحمه الله - بمراسلة الفاروق عمر ، كما هو متبع ، فأطلعه على تدبير الفرس وحشودهم وكفر أهل السواد ونقضهم العهد ، فقام الفاروق على الفور باعداد العدة لذلك قائلاً : والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ، فلم يدع رئيساً ولا ذا شرف ولا خطيئاً ولا شاعراً إلا أرسله إلى جبهة القتال ، وأرسل إلى المثنى يأمره بالخروج إلى حدود دولة الفرس ، ثم أرسل أمراً قيادياً أن لا يدعوا في ربيعة أو مضر والحلفاء أحداً من أهل القوة والنجدة ولا فارساً إلا أحضره ، إما طوعاً أو كرهاً ، وبعث إلى عماله بذلك فجاءت الامدادات من كل مكان ، وفي أول محرم سنة أربع عشرة سار عمر بالناس حتى بلغ « صرار » فعسكر به (٣) ، وجعل طلحة بن عبيد الله في المقدمة ، وجعل عبد الرحمن بن عوف على الميمنة ، واستشار الناس فأشاروا عليه جميعاً بالسير ، إلا أن عبد الرحمن بن عوف نهاه عن الخروج قائلاً : يا أمير المؤمنين فذاك أبي وأمي ، أقم هنا بالمدينة وابعث قائداً على جيشك فليس ذلك كهزيمتك ، وإنك إن تهزم أو تقتل يرتد

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١٣/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٦/١ وناد يقال : ندا البعير . فهو ناد : إذا شرد ونفر .

(٣) الطبراني ٤٨٠ / ٣ وانظر تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الفاروق عمر د/ يسرى محمد هانى ٣٨٧ وما بعدها .

المسلمون . فقال عمر : فأشيروا علىّ برجل ، فقال عبد الرحمن بن عوف : وجدته . قال : من هو ؟ فقال : الأسد في برائثه سعد بن مالك ، فوافق أولو الرأي فاستدعاه عمر ، وعقد له لواء الجيش .. ولما همّ الجيش الكبير بأن يفصل عن المدينة ، وقف عمر بن الخطاب يودعه ويوصي قائده فقال : « يا سعد : لا يغرنك أن قيل : خال رسول الله وصاحبه .. فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته .. والناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء .. الله ربهم وهم عباده .. يتفاضلون بالعاقبة ، ويدركون ما عند الله بالطاعة .. فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ منذ بُعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه ، فإنه الأمر ... » .

ومضى الجيش المبارك وفيه تسعة وتسعون بدريةً وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت لهم صحبة فيما بين بيعة الرضوان فما فوق ذلك ، وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة مع رسول الله ﷺ ، وسبعمائة من أبناء الصحابة ومجموع الجيش بضعة وثلاثون ألفاً ، يقابلهم من الفرس مائة وعشرون ألفاً .. وتولى قيادتهم « رستم » أشهر وأخطر قوادهم ، ويكتب سعد إلى عمر ، فيكتب إليه عمر : « لا يكربنك ما تسمع منهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأى والجلد ، يدعونه إلى الله .. واكتب إلىّ في كل يوم .. » .

ويرسل سعد إلى رستم قائد الفرس نفرًا من أصحابه يدعونه إلى الله وإلى الإسلام .. ويطول بينهما الحوار .. ويعود الوفد إلى قائد المسلمين سعد ليخبروه أنها الحرب .. وقد استعد الفرس للمنازلة والقتال .. وأخذ القراء يقرأون سورة الجهاد - الأنفال - فلما سمعها الجيش هبّت القلوب .. وذرفت العيون ، وعرف الناس السكينة .. وكبر سعد فكبر الذين يلونه ، ثم من سواهم والتقى الجمعان .. واقتتلوا قتالاً شديداً دام أياماً .. وفي اليوم الثالث كانت ليلة الهزير حيث اشتد المسلمون على الفرس ، ونادى سعد في قومه بالثبات فصبروا حتى طلع النهار وقتل هلال بن علفه رستمًا فانهزم الفرس .. وغنم المسلمون أموالاً كثيرة .. ثم طاردهم سعد إلى جلولاء فأوقع بهم وأسر إحدى بنات كسرى وعددًا كبيرًا من الفرس .. وكتب سعد إلى الفاروق يبشره بالفتح المبين ^(١) .

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الفاروق د/ يسرى هانى ٣٨٧ وما بعدها بتصرف يسير .

● فتح المدائن عاصمة الفرس ●

وفي موقعة « المدائن » أبلى سعد بلاءً عظيمًا .. وكانت موقعة المدائن، بعد موقعة القادسية بقرابة عامين ، جرت خلالها مناوشات مستمرة بين الفرس والمسلمين ، حتى تجمعت فلول الجيش الفارسي وبقيائه في المدائن .. متأهبة لموقف أخير وفاصل .. ولنبدأ العرض التاريخي:

● حين فر الفرس من (بهرسير) بنوا خططهم الحربية على سحب جميع السفن والمعابر ما بين المدائن وتكريت ، وأقام سعد أيامًا يفكر ماذا يفعل لعبور دجلة وهي في فيضانها الزائد الذي جعلها تموج .. وترمي بالزبد ، ثم وصل إلى علمه أن « يزدرج » سوف يقوم خلال ثلاثة أيام بنقل كل شيء إلى المدائن ، فهاذا يفعل القائد وقد تبدى أمامه ثلاثة أشياء :

(أ) فقدان جميع السفن والمعابر وهذا أمر يجعل أي قائد يختار حيرة شديدة ، فكيف يعبر إذن ؟

(ب) فيضان دجلة الذي اشتد في تلك الأيام مما يشكل مانعًا شديدًا أمام أي عبور !

(ج) هروب كسرى بالكنوز في خلال ثلاثة أيام ، مما يجعله على استعداد لتقوية جيشه ! واستعان سعد بالله .

وفكر مليًا ثم جاء إلى المسلمين فخطب فيهم خطبة بليغة^(١) من عيون الخطابة الجهادية الحربية ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر .. فلا تخلصون إليه معه - أى تصلون إليه - ويخلصون إليكم إذا شاءوا وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، إلا إنني قد عزمتم على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعًا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .. وعندئذ ندب الناس إلى العبور » .

وقبل أن يبدأ الجيش عملية العبور ، فطن « سعد » إلى وجوب تأمين مكان الوصول على الضفة الأخرى التي يربط العدو حولها .. فتقدم عاصم بن عمرو في ستمائة من المجاهدين

(١) المصدر السابق ٣٩٣ .

وجعله « سعد » أميرهم فعبر بهم في ستين فارساً واقتحموا دجلة ، فلما رآهم الفرس أخرجوا لهم خيولاً لتقضي على هذه الطليعة من جيش المسلمين ، فأمر عاصم رجاله باستخدام الرياح وقال لهم : توخوا العيون ، فالتقوا وأطعنوا وتوخي المسلمون عيونهم فولوا ، ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم ، وتلاحق الستمائة وحمو جانب الفرات ، فأمر سعد الناس باقتحامه وقال : قولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه.. والله لينصرنَّ الله وليه.. وليظهرنَّ دينه.. وليهزمنَّ عدوه.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وتلاحق الناس في دجلة .. وأنهم يتحدثون كما يتحدثون في البر .. وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شيء ، وكان الذي يساير سعداً سلمان الفارسي ، فعامت بهم خيولهم وسعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .. والله لينصرنَّ الله وليه .. وليظهرنَّ دينه .. وليهزمنَّ عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغى أو ذنوب تقلب الحسنيات ، فقال له سلمان الذي أخذ يضرب كفاً بكف دهشة وغبطة .. « إن الإسلام جديد .. ذُلت والله لهم البحار ، كما ذُلَّ لهم البر .. أما والذي نفس سلمان بيده .. ليخرجنَّ منه أفواجاً - أى من دجلة - كما دخلوه أفواجاً .. !! » .

ولقد كان .. وكما اقتحموا نهر دجلة أفواجاً ، خرجوا منه أفواجاً لم يخسروا جندياً واحداً ، بل لم تضع منهم شكيمة فرس .

ولقد سقط من أحد المقاتلين قدحه .. فعز عليه أن يكون هو الوحيد بين رفاقه الذي يضع منه شيء ، فنادى في أصحابه ليعاونوه على انتشاله ، ودفعته موجة عالية إلى حيث استطاع بعض العابرين التقاطه^(١) . فلما رأى الفرس ذلك خرجوا هاربين نحو حلوان وخرج يزدجر ومن معه بما قدروا عليه من الأموال والكنوز ، وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال بقيادة عمرو بن عاصم ، ثم كتيبة القعقاع بن عمرو وهي الخرساء .

ونزل سعد القصر الأبيض .. ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور الماء ، وكان يُدعى يوم الجراثيم ، لا يبغى أحد إلا ظهرت له جرثومة من الأرض يستريح عليها ، ما يبلغ الماء حزام

(١) رجال حول الرسول ١٢٢ .

فرسه . ولما دخل « سعد » الإيوان قرأ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ . [الدخان : ٢٥ - ٢٨] .

وصلى سعد صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينهن ولا تصلى جماعة، وأحرز المسلمون الغنائم العظيمة ، ومن ذلك : تاج كسرى وهو مكمل بالجواهر النقية التى تحير الأبصار ، ومنطقته وسيفه ، وسواره .. وقبائمه .. وبساط إيوانه .. وقد استوهب^(١) سعد المسلمين أربعة أخماس البساط ، ولبس كسرى من المسلمين وأرسله إلى أمير المؤمنين عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه ، فلما نظر عمر إلى ذلك قال : إن قوماً أدوا هذا لأمناء .. فقال على : إنك عفت فعفوا .. ولو رعت لرتعوا .. !!

● وداعاً بطل القادسية ●

(ويمتد العمر بسعد - رضى الله عنه - وتجيء الفتنة الكبرى ، فيعتز لها سعد .. بل ويأمر أهله وأولاده ألا ينقلوا إليه شيئاً من أخبارها .. ويذهب إليه ابن أخيه هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص ويقول له : ها هنا . مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر - يقصد الخلافة - فيجيبه سعد : أريد منها سيفاً واحداً .. إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً ، وإذا ضربت الكافر قطعه .. !! وهكذا اعتزل سعد الفتنة حتى إنه ليقول : (إنى مررت بريح مظلمة .. فقلت : أخ .. أخ .. وأنخت راحلتى حتى انجلت عنى)^(٢) .

● وذات يوم من أيام العام الرابع والخمسين للهجرة ، وقد جاوز سعد سن الثمانين ، كان هناك بداره بالعقيق يتهيأ للقاء الله .

(يقول مصعب بن سعد : كان رأس أبى فى حجرى ، وهو يقضى ، فبكيت فرفع رأسه إلئى ، فقال : أى بنى ما يبكيك ؟ قلت : لمكانك وما أرى بك . فقال : لا تبك فإن الله لا يعذبني أبداً .. وإنى من أهل الجنة .. !!) .

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام فى عهد الفاروق عمر، د/ يسرى هانى ٣٩٥ .

(٢) رجال حول الرسول ١٢٤ .

قال ابنه عامر : (كان آخر المهاجرين موتاً .. ولما حضرته الوفاة أراد أن يلقي الله وهو يحمل أروع تذكارات جمعه بدينه ووصله برسوله ، فدعا برداء قديم قد بلى فقال : كفنوني فيه .. فإنني لقيت المشركين فيه يوم بدر ، وهو عليّ ، وإنما كنت أخبئه لهذا اليوم) (١) .

● ولما مات سعد وجيء سريرته وأدخل على أم سلمة جعلت تبكي وتقول : بقية أصحاب رسول الله ، وحمل على أعناق الرجال فصلى عليه مروان وأزواج النبي ﷺ . وداعاً بطل القادسية .. وفاتح المدائن .. ومطفىء النار المعبودة في فارس إلى الأبد (٢) .



(١) رجال حول الرسول ١٢٥ .

(٢) نفسه .

(٩)

سعيد بن زيد

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي .. نسبة إلى بنى عدى بن كعب وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، يجتمعان في نفيل .

كان زيد صهر عمر زوج أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت أخته عاتكة بنت زيد تحت عمر ابن الخطاب ، تزوجها بعد أن قُتل عنها عبد الله بن أبي بكر الصديق ، كان سعيد يكنى أبا الأعور ، وقيل أبو ثور والأول أكثر^(١) .

أمه : فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد بن مليح من خزاعة .

أبوه : زيد بن عمرو بن نفيل ، كان يطلب دين الخيفية ، دين إبراهيم عليه السلام قبل أن يبعث النبي ﷺ وكان لا يذبح للأنصاب ، ولا يأكل الميتة والدم .

ومن خبره في ذلك :

(أنه خرج في الجاهلية يطلب الدين هو وورقة بن نوفل ، فلحقا اليهود ، فعرضت عليهم يهود يهوديتهم ، فتهود ورقة ، ثم لقيا النصارى ، فعرضوا عليهما دينهم ، فترك ورقة اليهودية وتنصر ، وأبى زيد بن عمرو بن نفيل أن يأتي من ذلك شيئاً ، وقال : ما هذا إلا كدين قومنا ، تشركون ، ويشركون ، ولكنكم عندكم من الله ذكر ولا ذكر عندهم . قال له راهب : إنك تطلب ديناً ما هو على الأرض اليوم .

فقال زيد : وما هو ... ؟ قال : دين إبراهيم .. قال : وما كان دين إبراهيم ؟

قال الراهب : كان يعبد الله لا يشرك به شيئاً .. ويصلى إلى الكعبة .. فكان زيد على ذلك حتى مات^(٢) .

وكان زيد بن عمرو .. يبكى ويقول : وعزتك لو أعلم الوجه الذي تعبد به لعبدتك به ، وقيل : نزل فيه وفي سلمان وأبى ذر ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر : ١٧] .

(١) أسد الغابة ٢/ ٢٣٦ .

(٢) الاستيعاب على هامش الإصابة ٤/ ١٨٩ .

وكان زيد والد سعيد يقول : يا معشر قريش ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري ، وكان يُحَى المؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته مهلاً لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها فإذا ترعرت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها^(١) .

(.. وكان زيد بن عمرو هائم مع أشواقه المؤمنة ، ينطلق في بطاح مكة تارة ولائذ بالكعبة تارة .. ومناج ربه دوماً .. لبيك حقاً حقاً .. تعبدًا ورقاً .. !)^(٢) .
وكان يقول :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخرًا ثقالاً
دحاها ، فلما رآها استوت	على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذبًا زلالاً
إذا هي سقت إلى بلـدة	أطاعت فصبت عليها سجالاً
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الريح تصرف حالاً فحالاً ^(٣)

(وكان يتلفت يمينًا ، ويتلفت يسارًا ، فلا يجد نفسه إلا في بيداء مظلمة ، وفي ضلال محيط ، ويثور شعوره الديني ، فينشد ، وكأنه يصرخ أو يستغيث)^(٤) :

أربُّ واحدٌ أم ألف ربُّ	أدينُ إذا تقسمت الأمور
عزلت السلات والعزى جميعًا	كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا بتيها	ولا صنمى بنى عمرو أزور
عجبت وفي الليالى مُعجباتُ	وفي الأيام يعرفها البصير
فإن الله قد أفنى رجلاً	كثيراً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين من قوم	فيربل منهم الطفل الصغير
ولكن أعبد الرحمن ربى	ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها	متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهم جنان	وللكفار حامية سكير
وخزى في الحياة وإن يموتوا	يلاقوا ما تضيق به الصدور ^(٥)

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٩١ . (٢) خلفاء الرسول ٣٣ . (٣) البداية والنهاية ٦/ ٢٤٢ .

(٤) خلفاء الرسول ٣٤ . (٥) البداية والنهاية ٢/ ٢٤٢ .

وهكذا كان زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد .. مؤمناً بالفطرة قبل بعثة النبي ﷺ ، ولكنه مات قبل أن تكتحل عيناه برؤية النبي محمد ﷺ .. وفيما كان زيد يلفظ أنفاسه الأخيرة رفع بصره إلى السماء وقال : اللهم إن كنت حرمتني من هذا الخير فلا تحرم منه ابني «سعيداً»^(١) ، ولقد استغفر له الرسول ﷺ وقال في حقه : (إنه يبعث أمة وحده)^(٢).

● إسلام سعيد بن زيد ●

لقد دعا زيد بن عمرو قبل أن يلفظ أنفاسه قائلاً : « اللهم إن كنت حرمتني من هذا الخير فلا تحرم منه ابني سعيداً » .

وشاء الله أن يستجيب دعوة زيد .. فما إن قام رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام، حتى كان سعيد بن زيد في طليعة من آمنوا بالله وصدقوا رسالة نبيه.

فقد أسلم سعيد قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، وأسلم قبل عمر وأسلمت معه امرأته فاطمة بنت الخطاب .. عن إسماعيل بن قيس قال : (سمعت سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل في مسجد الكوفة يقول : والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقى على الإسلام قبل أن يسلم ، ولو أن أحداً أرفض للذي صنعتم بعثنا لكان محقوقاً أن يرفض)^(٣).

ولقى سعيد من أذى قومه ما كان خليقاً أن يفتنه عن دينه .. لقد أوثقه عمر بسبب إسلامه وأهانته كي يرجع عن الإسلام .. والسبب أن عمر تناوله بالتعذيب أنه كان زوج فاطمة بنت الخطاب أخت عمر .

● من مناقبه ●

كان - رضى الله عنه - من السابقين في الإسلام والهجرة ، وشهد المشاهد كلها ، إلا بدرًا . إذ كان النبي ﷺ بعثه هو وطلحة بن عبيد الله يتحسان الأخبار في طريق الشام فقدموا يوم وقعة بدر .. فأثبت لهم النبي سهمهما وأجرهما ، فلذلك عُدّا في البدرين ، شهد له النبي ﷺ بالجنة ، والشهادة في حديث العشرة ، وفي حديث تحرك حراء ، وكان مجاب الدعوة .

(١) صورة من حياة الصحابة ٢٣٢ .

(٢) أحمد في المسند ١٦٤٨/٣ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح . (٣) البخارى ٣٨٦٢ .

● وكان - رضى الله عنه - موصوفًا بالزهد ، محترمًا عند الولاة ، ولما فتح أبو عبيدة ابن الجراح دمشق ولاة إياها ، ثم نهض معه للجهاد .. وكان مقام أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف عند رسول الله واحدًا وكانوا أمامه فى القتال وخلفه فى الصلاة .

● يوم اليرموك فى ذاكرة سعيد ●

(لقد وضع سعيد بن زيد طاقاته كلها فى خدمة الإسلام .. حيث أسهم مع المسلمين فى استلال عرش كسرى وتقويض مُلك قيصر .. وكانت له فى كل موقعة خاض غمارها المسلمون مواقف مشهورة .. وأياد محمودة .

ولعل أروع بطولاته ، تلك التى سجلها يوم اليرموك ، وها هو يقص علينا طرفًا من خبر ذلك اليوم .. قال : كنا أربعًا وعشرين ألفًا ، أو نحو من ذلك ، فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة ألف ، وأقبلوا علينا بخطى ثقيلة كأنها الجبال تحركها أيدٍ خفية وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون ، يحملون الصلبان وهم يجيرون بالصلوات فيردها الجيش من ورائهم وله هزيم كهزيم الرعد .. !!

فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه ، هالتهم كثرتهم ، وخالط قلوبهم شىء من الخوف ، عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحض المسلمين على القتال فقال :

« عباد الله اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر .. ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، أشرعوا الرماح ، واستتروا بالتروس ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل فى أنفسكم ، حتى أمركم إن شاء الله » .

قال سعيد : عند ذلك خرج رجل من صفوف المسلمين وقال لأبى عبيدة : إنى أزمعت على أن أقضى أمرى الساعة .. فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ !!

فقال أبو عبيدة : نعم .. تقرأه السلام منى ومن المسلمين ، وتقول له : يا رسول الله إننا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا !! فقال سعيد : فما إن سمعت كلامه ، ورأيت يمتشق حسامه ، ويمضى إلى لقاء أعداء الله ، حتى اقتحمت إلى الأرض ، وجثوت على ركبتى ، وأشرعت

رمحى وطعنت أول فارس أقبل علينا ، ثم وثبت على العدو وقد انتزع الله كل ما في قلبي من الخوف .. فثار الناس في وجوه الروم .. وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر^(١) .

● زهده ●

أرسل عمر - رضى الله عنه - إلى أبي عبيدة يقول له: أخبرني عن حال الناس ، وأخبرني عن خالد بن الوليد .. أى رجل هو ؟ وأخبرني عن يزيد بن أبي سفيان ، وعمر بن العاص ، وأخبرني عن سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل كيف حالهما ؟ .

فكتب أبو عبيدة إلى عمر - رضى الله عنه - عن حال أصحابه ، وكان مما قاله عن سعيد ومعاذ : « كما عهدت إلا أن السواد زادهما في الدنيا زهدًا وفي الآخرة رغبة »^(٢) .

ولقد تولى سعيد بن زيد ولاية دمشق .. ولكنه وجد أن ذلك شغله عن الجهاد في سبيل الله ، فكتب إلى أبي عبيدة قائلاً : بسم الله الرحمن الرحيم ، من سعيد بن زيد إلى أبي عبيدة ابن الجراح .. سلام عليك ، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو .

أما بعد :

فإنى ما كنت لأؤثر وأصحابك بالجهاد على نفسى وعلى ما يُدْني من مرضاة ربي ، فإذا أتاك كتابى هذا فابعث إلى عملك من هو أرغب إليه منى ، فإنى قادم عليك وشيكا إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك .

سعيد بن زيد

● رجل مجاب الدعوة ●

كان - رضى الله عنه - مجاب الدعوة .. ففى زمن بنى أمية وقعت له حادثة تثبت أنه مجاب الدعوة .. وخبر ذلك : (جاءت أروى بنت أويس إلى محمد بن عمرو بن حزم فقالت : يا أبا عبد الملك إن سعيد بن زيد قد بنى فى حقى ، فآته فكلمه أن ينزع من حقى .. فوالله إن

(١) صور من حياة الصحابة بتصرف يسير ٢٣٣ .

(٢) الرياض النضرة للمحب الطبرى ٧٩٦ .

لم يفعل لأصيحناً به في مسجد رسول الله ، فقال لها : لا تؤذى صاحب رسول الله وما كان ليظلمك .. ما كان ليأخذ لك حقاً . فخرجت فجاءت عمارة بن عمرو وعبد الله بن مسلمة فقالت لهما : أتيا سعيد بن زيد فإنه ظلمنى وبنى في حقى ، فوالله إن لم ينزع لأصيحناً به في مسجد رسول الله . فخرجنا حتى أتياه في أرضه بالعقيق .. فقال لهما : ما أتى بكما .. ؟ قالا : جاءتنا أروى بنت أويس فزعمت أنك بنيت في حقها ، وحلفت بالله لئن لم ينزع لأصيحناً به في مسجد رسول الله فأحببنا أن نأتيك ونذكرك !! فقال : كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله يقول : (من أخذ شبراً من الأرض بغير حق طوق يوم القيامة من سبع أرضين)^(١) . لتأتين فلتأخذ مالها من حق .. اللهم إن كانت كذبت على فلا تمتها حتى تعمى بصرها .. وتجعل منيتها فيها .. ارجعوا فأخبروها ذلك .. فجاءت فهدمت ما بناه وبنت بنياناً فلم يلبث إلا قليلاً حتى عميت وكانت تقوم من الليل ومعها جارية لها تقودها لتوقظ العمال . فقامت ليلة وتركت الجارية لم توقظها فخرجت تمشى حتى سقطت في البئر فأصبحت ميتة^(٢) .

● وفاته ●

توفي - رضى الله عنه - سنة خمسين أو إحدى وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة . وخرج إليه عبد الله بن عمر فغسله وحنطه ، وصلى عليه .. ونزل في قبره سعد وابن عمر - رضى الله عنهما - ودفن بالعقيق من نواحي المدينة^(٣) .



(١) مسلم ١٦١٠ .

(٢) تاريخ دمشق ٨٧ / ٢١ .

(٣) أسد الغابة ١٣٧ / ٦ .

(١٠)

أبو عبيدة بن الجراح

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيّب بن ضبّة بن الحارث بن فهر ابن مالك أبو عبيدة .. اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده فيقال : أبو عبيدة بن الجراح^(١) لقبه رسول الله ﷺ بأمين هذه الأمة .

يجمع مع النبي ﷺ في فهر بن مالك^(٢) .

أمه : أميمة بنت جابر ، ويقال : أم غنم أميمة بنت جابر القرشية الفهرية ، أدركت الإسلام وأسلمت .. وأم أبي عبيدة هي من بنات عم أبيه^(٣) .

● صفته ●

كان - رضي الله عنه - وضئ الوجه ، بهي الطلعة ، نحيل الجسم ، طويل القامة ، خفيف العارضين ، ترتاح العين لمراه ، وتأنس النفس للقياء ، ويطمئن إليه الفؤاد . وكان إلى جانب ذلك رقيق الحاشية ، جم التواضع ، شديد الحياء وكان أثرم الثنيتين - أي مكسور الأسنان الأمامية - فقد كسرت أسنانه يوم أحد ، فما رُئى أهتم كان أحسن من أبي عبيدة .

وصفه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فقال : (ثلاثة من قريش أحسن قريشاً أخلاقاً وأصبحها وجوهاً ، وأشدّها حياءً إن حدثوك لم يكذبوك ، وإن حدثتهم لم يكذبوك : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح^(٤) .

● إسلامه ●

كان أبو عبيدة - رضي الله عنه - من السابقين الأولين إلى الإسلام .. فقد أسلم في اليوم التالي لإسلام أبي بكر .. « فلقد انطلق عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث ، وعبد الرحمن

(١) أسد الغابة ٣ / ٢٤ ترجمة رقم ٢٧٠٤ .

(٢) الحافظ في الفتح ١٧ / ٧ .

(٣) ابن حجر الفتح ١٧ / ٧ ، وتهذيب الكمال ١٧ / ٥٣ ترجمة رقم ٣٠٤٨

(٤) تاريخ دمشق ٢٥ / ٤٥٧ ، صفة الصفوة ١ / ١٩٢ ، صور من حياة الصحابة ٩٠ .

ابن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام ، وأنبأهم بشرائعه ، فأسلموا في ساعة واحدة ، وذلك قبل دخوله ﷺ دار الأرقم ، وقبل أن يدعوا فيها ^(١) ، وهكذا كان أبو عبيدة في طليعة السابقين إلى الدين الجديد .

● من مناقبه ●

« ومنهم - أى من العشرة - الأمين الرشيد ، والعامل الزهيد ، أمين الأمة أبو عبيدة ابن الجراح ، وكان للأجانب من المؤمنين وديداً وعلى الأقارب من المشركين شديداً .. صبر على الانتصار على القليل إلى أن حان منه النقلة والرحيل » .

● أسلم - رضى الله عنه - قديماً ، ويقال إنه من مهاجرى الحبشة ، شهد بدرًا وهو ابن إحدى وأربعين سنة وقتل أبوه ^(٣) يومئذ كافرًا ، ونزل فيه وفي أمثاله ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢) .

[المجادلة: ٢٢] .

وشهد ما بعد بدر من المشاهد ، وكان ممن ثبت يوم أحد وانتزع يومئذ من جبهة النبي ﷺ حلقتى المغفر ^(٤) .

● سماه رسول الله ﷺ أمين الأمة ^(٥) (فقد جاء أهل نجران وسألوا النبي ﷺ أن يبعث معهم أمينه فقال رسول الله ﷺ : أتتوني العشية أبعث معكم القسوى الأمين ، فقال عمر : فما

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ١ ، تاريخ دمشق ٤٤٤ / ٢٢٥ .

(٢) ١٠١ / ١ .

(٣) سوف نذكر ذلك قريباً .

(٤) سوف نذكر ذلك قريباً تحت عنوان : مواقف خالدة ..

(٥) جزء من حديث أخرجه البخارى فى الصحيح برقم ٣٧٤٤ .

أحببت الأمانة إلا يومئذ ، فرحت مُهَجَّرًا حتى صليت خلف رسول الله ﷺ في أول الصفوف ، فأرجو أن يدعوني بها ، فلم سلم جعل يرمى بطرفه يمينًا وشمالاً ، وجعلت أتطاول ليراني ، حتى رأى أبا عبيدة في بعض الصف فقال : يا أبا عبيدة أخرج مع هؤلاء أقض بينهم بالحق ، فخرج معهم . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة بن الجراح ^(١) .

● ومن مناقبه أنه - رضى الله عنه - كان من أحب أصحاب النبي إلى النبي ﷺ . فعن عبد الله بن شقيق قال : (قلت لعائشة : أى أصحاب رسول الله كان أحب إلى رسول الله ؟ قالت : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قالت : عمر ، قلت : ثم من ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح . قلت : ثم من ؟ قال : فسكت) ^(٢) .

● وعن زيد بن أسلم عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه : (تمنوا ، فقال أحدهم : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله ، فقال : تمنوا . فقال آخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهباً فأنفقه في سبيل الله ، فقال عمر : تمنوا ، فقال الآخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهراً فأنفقه في سبيل الله . فقال عمر : تمنوا ، قالوا : ما تمنينا بعد هذا ! قال عمر : ولكنى أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان استعملهم في طاعة الله) ^(٣) .

● زهده ●

لقد كان - رضى الله عنه - زاهداً في الدنيا فلم يغيره الدنيا .. حتى وهو أمير للجيش !
« قدم أمير المؤمنين عمر الشام فتلقياه عظماء الناس وأمراء الأجناد ، فما اهتم بغير السؤال عن أخيه .. أبى عبيدة بن الجراح قائلاً لمن حوله بلهفة وحنان : أين أخى ؟ وسأله الناس متعجبين : من تعنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبو عبيدة ! ومن غيره ؟ قالوا : يأتيك الآن .

(١) تاريخ دمشق ٤٦٣/٢٥ .

(٢) البخارى ٢٦٦٢ ، الترمذى ٣٦٥٧ واللفظ له .

(٣) البخارى في التاريخ الصغير ٥٤ / ١ .

وقدم أبو عبيدة للسلام على الخليفة ، وقد جاء راكبًا ناقة مخطومة بحبل كما يفعل أى رجل بدوى فقير ! وبعد السلام طلب عمر من أمير الجيوش أن يصحبه ليزوره فى منزله ! فقال أبو عبيدة : وماذا تصنع عندى ؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك على ، ودخل أمير المؤمنين منزل ابن الجراح فلم يرى شيئًا ، فسأله : أين متاعك ؟ وتلفت أبو عبيدة بدوره ، فلم يشاهد عنده متاعًا مما غلا أو رخص إلا لبدة الصلاة ، وفراشًا مهترئًا للنوم .. وزاد عمر وصحفة وقربة قديمة .. وأنت أميرًا للجيوش .. !! وقدّم أبو عبيدة ماعنده من طعام .. كسيرات من الخبز اليابس لم يكن عنده غيرها ! وبكى عمر.. عصر عينيه حقًا على أخيه .. وبعد أن كف كف دمه ، وابتلع كسيرات الخبز ، قال وهو بالغ التأثر : غيرتنا الدنيا كلنا .. غيرك يا أبا عبيدة !! (١).

● وعن قتادة ، أن أبا عبيدة بن الجراح قال : (ما من الناس من أحمر أو أسود حر ولا عبد ، عجمى ولا فصيح ، أعلم أنه أفضل منى بتقوى إلا أحببت أن أكون فى مسلاخه) (٢) - أى فى هيئته .

● تواضعه ●

لقد كان - رضى الله عنه - رقيق الحاشية ، جم التواضع .. ومن ذلك : (كان عمرو ابن العاص قائدًا فى غزوة ذات السلاسل ، وقد شعر القائد بحاجته إلى مدد ، فأرسل إليه النبى ﷺ جماعة من المهاجرين والأنصار وأمر عليهم أبا عبيدة ، فلما قدموا على عمرو بن العاص قال : أنا أميركم ، فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأميرنا أبو عبيدة . فقال عمرو : إنها أنتم مدد أمددت بكم .. وطال الجدل .. فعمرو بن العاص يُصر على أنهم جاءوا مددًا ، فهو إذن أمير جنده ، وأمير هؤلاء الذين انضموا إليهم ، وهنا ظهرت عبقرية ابن الجراح فى تواضعه ورحابة صدره ، وحسن سياسته ، فقال لعمرو : (تعلم يا عمرو إن آخر ماعهد إلى به رسول الله ﷺ أن قال : إذا قدمت على صاحبك .. فتطاوعا .. وأنت إن عصيتنى أطعتك) (٣) .

(١) مآثر الصحابة ٢٣٢ وما بعدها .

(٢) أحمد فى الزهد ٢٣٠ .

(٣) انظر تفصيل ذلك فى فتح البارى ٦٧٤ / ٧ ، وانظر هذه الفقرة بتامها فى مآثر الصحابة ٢٣٧ .

هذا الكلام النبيل، اللين، الحكيم، الدال على رحابة صدره، ومرونة تفكيره وحسن تدبيره.. فضلاً عن كل ما اتصف به هذا الرجل العظيم، هذا الكلام كان كافياً لحسم النزاع، ودرء الفتنة والانقسام، أمام عدو مشترك جاءوا جميعهم لكفاحه^(١).

ويدل على تواضعه أيضاً ما رواه أبو حذيفة في فتوح الشام: (إن الروم بعثوا إلى أبي عبيدة أنا نريد أن نبعث إليك رجلاً منا يعرض عليك الصلح، ويدعوك إلى النصف، فإن قبلت منه فلعل ذلك يكون خيراً لك ولنا، وإن أبيت فما نراه إلا شر لك، فقال لهم: ابعثوا من شئتم. فبعثوا رجلاً، فجاء فلما دنا من المسلمين لم يعرف أبا عبيدة من القوم، ولم يدر أهو فيهم أم لا، ولم يرهبه مكان أمير من الأمراء، فقال: يا معشر العرب أين أميركم؟ فقالوا له: ها هو ذا. فنظر فإذا بأبي عبيدة جالساً عليه الدرع وهو ممسك الفرس، ويده أسهم يقلبها وهو جالس على الأرض. فقال له: أنت أمير هؤلاء؟ قال: نعم، قال: ما يجلسك على الأرض؟ أرأيت إن كنت جالساً على وسادة أو كان تحتك بساط أكان ذلك واضعك عند الله؟ أو هل يبعذك من الإحسان؟ قال أبو عبيدة: إن الله لا يستحي من الحق، لأصدقنك، ما أصبحت أملك إلا سيفي وفرسي وسلاحى، ولقد احتجت أمس إلى نفقة فاقترضت من أخى هذا شيئاً - يعنى معاذ بن جبل - وكان عنده شيء فاقترضت، ولو كان عندى بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه وأجلس أخى المسلم الذى لا أدري لعله خير منى منزلة عند الله عز وجل على الأرض. ونحن عباد الله نمشى على الأرض، ونجلس عليها ونأكل عليها، ونضطجع عليها وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئاً، بل تعظم به أجورنا وترفع درجاتنا.. فهل حاجتك التى جئت إليها)^(٢).

● من مواقفه الخالدة ●

لقد كان لابن الجراح.. مواقف خالدة مشهودة.. سجلها التاريخ بحروف من نور.. ونحن بدورنا نختار من هذه المواقف موقفين اثنين.

(١) مآثر الصحابة ٢٣٨.

(٢) الرياض النضرة فى مناقب العشرة ٨٠٨.

١ - يوم بدر :

(انطلق أبو عبيدة يوم بدر يصول بين الصفوف صولة من لا يهاب الردى فهابه المشركون، ويجول جولة من لا يحذر الموت، فحذره فرسان قريش وجعلوا يتنحون عنه كلما واجهوه .. لكنَّ رجلاً واحدً منهم جعل يبرز لأبى عبيدة في كل اتجاه، فكان أبو عبيدة ينحرف عن طريقه ويتحاشى لقاءه .. إلا أنه تمادى ولجَّ في الهجوم .. وأكثر أبو عبيدة من التنحي عنه .. وكان الجراح يقصد أن يصل إلى ابنه المدافع عن رسول الله ﷺ، وعن الحق الذي يمثله، لكي يصل عبره إلى الرسول نفسه فيقتله أيضًا .. وماذا كان بإمكان أبو عبيدة .. ؟

أيترك أباه المشرك يقتله ليصل إلى رسول الله ﷺ، ويقضى على حياة أعظم إنسان ؟
فكَّر أبو عبيدة في لحظات، فيما سيصيب الأمة لو حقق ذلك المجرم المشرك غايته . وفكَّر فيما يجب عليه نحو أبيه .. ثم قارن بين جريمة هذا المشرك الذي أوشك أن يقتلها .. وبين جريمته هو، لو أقدم على قتل أبيه .. فرجحت عنده الفكرة الثانية، واختار أهون الشرين، وقلبه يعصره الألم، فقتل أباه الجراح .. مضحياً بكل شيء في سبيل رسول الله ﷺ وفي سبيل الإسلام !!)^(١) ونزل فيه قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢) . [المجادلة : ٢٢] .

● يقول ابن الجوزي في تفسيره: « زاد المسير »^(٢) عند تفسيره لهذه الآية : (هذه الآية قد بينت أن مودة الكفار تقدر في صحة الإيمان .. وأن من كان مؤمناً لم يوال كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحد عشرته) ا.هـ .

● ويقول الإمام ابن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز)^(٣) : (نفت هذه الآية أن يوجد

(١) صور من حياة الصحابة ٩٤ .

(٢) ٣٢٩ / ٧ .

(٣) ٣٨٢ / ٥ .

من يؤمن بالله تعالى حق الإيمان .. ويلتزم شعبه على الكمال يواد كافرًا أو منافقًا .. ومعنى يواد يكون بينهما من اللطف بحيث يود كل واحد منهما صاحبه .. وعلى هذا التأويل قال بعض الصحابة : اللهم لا تجعل لمشرك قبلي يدًا فتكون سببًا للمودة فإنك تقول وتلا هذه الآية ﴿ لا تجد قومًا ﴾ [الآية] .

ويقول صاحب الظلال^(١) - رحمه الله - : (.. وفي هذه الآية تجيء القاعدة الثابتة التي يقف عليها المؤمنون ، أو الميزان الدقيق في النفوس ، لا تجد قومًا يؤمنون بالله .. إنها الفاصلة الكاملة بين حزبين : حزب الله وحزب الشيطان والانحياز النهائي للصف المتميز .. والتجرد من كل عائق وجاذب ، والارتباط في العروة الوثقى الواحدة بالحبل الواحد : لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله .. فها جعل الله لرجل من قلبين في جوفه .. وما يجمع إنسان في قلب واحد ودين ودًا لله ورسوله وودًا لأعداء الله ورسوله ! فإما إيمان أو لا إيمان .. أما هما فلا يجتمعان .. ولو كانوا آبائهم .. فروابط الدم والقربة هذه تنقطع عند حد الإيمان .. إنها يمكن أن تُرعى إذا لم تكن هناك محادة أو خصومة بين اللوائين : لواء الله ولواء الشيطان .. والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا يكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان .. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة ، فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد .. ولقد قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر . وهم الصديق بقتل ولده عبد الرحمن .. وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير وقتل حمزة وعبيدة بن الحارث أقرباءهم من المشركين متجردين من علائق الدم والقربة إلى آصرة الدين والعقيدة .. وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله) . هـ .

٢ - يوم أحد :

« وفي غزوة أحد حين خلص المشركون إلى رسول الله ﷺ حين أفرد في فترة اضطراب المعركة . عقب تخلى الرماة عن أماكنهم وإحاطة الكفار بالمسلمين والصيحة بأن محمدًا قد قتل ،

وما صنعتته في صفوف المسلمين وعزائمهم .. وفي هذه الغمرة التي يطيش فيها الحليم .. رُمى النبي بسهم في وجنته الشريفة حتى غابت حلقة من حلق المغفر في وجنته الشريفة ، وكان هناك أبو عبيدة فرأى الدم الذكي يسيل على وجهه ﷺ والرسول يمسح الدم بيمينه وهو يقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهويدعوهم إلى ربهم)^(١) .. يقول أبو بكر: فذهبت لأنزعها عن النبي ﷺ - حلقة المغفر - فقال أبو عبيدة: نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني ! فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضضه كراهية أن يؤذى رسول الله ثم استل السهم بفيه ، فندرت ثنيته - أي سقطت - ثم ذهب أبو بكر لينزع الأخرى ، فقال أبو عبيدة: نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني ! فأخذه فجعل ينضضه حتى استله فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى .. فكان أبو عبيدة في الناس أثرم !!

ولقد قال أبو بكر: فكان أبو عبيد من أحسن الناس هتماً !! ..

● طاعون عمواس ووفاة أبي عبيدة ●

حقاً ما بعد الكمال إلا النقص .. !! (كان أبو عبيدة بن الجراح في بلاد الشام يقود جيوش المسلمين من نصر إلى نصر حتى فتح الله على يديه الديار الشامية كلها .. فبلغ الفرات شرقاً وآسيا الصغرى شمالاً ، عند ذلك وفي العام السابع عشر من الهجرة دهم بلاد الشام طاعون ماعرف الناس مثله قط ، فجعل يحصد الناس حصداً^(٢) .. فما كان من عمر إلا أن وجه رسولاً إلى أبي عبيدة برسالة يقول فيها: (إنني قد عرضت لي إليك حاجة لا غنى لي عنك فيها ، فإن أتاك كتابي ليلاً فإني أعزم عليك ألا تصبح حتى تركب لي ، وإن أتاك نهاراً فإني أعزم عليك ألا تمسى حتى تركب لي) ، فلما قرأ أبو عبيدة الرسالة قال: لقد علمت حاجة أمير المؤمنين لي ، فهو يريد أن يستبقى من ليس بباقي ، ثم كتب إليه يقول: (يا أمير المؤمنين إنني قد عرفت حاجتك لي ، وإنني في جندي من المسلمين ولا أرغب بنفسى عنهم .. ولا أريد

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي بالفاظ متقاربة كلهم عن أنس وأحمد في المستدبرقم ١١٨٩٥ .

(٢) صور من حياة الصحابة ٩٢ .

فراقهم حتى يقضى الله فيّ وفيهم أمرًا .. فإذا أتاك كتابي هذا فحللني من عزمك وإئذن لي بالبقاء) . فلما قرأ عمر الكتاب بكى حتى فاضت عيناه ، فقال له من عنده : أمات أبو عبيدة يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا ، ولكن الموت منه قريب .. وما لبث أبو عبيدة أن أصيب بالطاعون !!^(١) ولما طعن أبو عبيدة دعا من حضره من المسلمين فقال : (إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة .. وآتوا الزكاة .. وصوموا شهر رمضان .. وتصدقوا .. وحجوا .. واعتمروا وتواصوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم .. ولا تلهكم الدنيا .. فإن امرأة لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذي ترون ، إن الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون .. وأكيسهم أطوعهم لربه .. وأعلمهم ليوم معاده .. والسلام عليكم ورحمة الله . يا معاذ بن جبل صل بالناس .. ومات !! فقام معاذ بن جبل في الناس فقال : « يا أيها الناس توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحًا ، فإن عبدًا لا يلقي الله تائبًا من ذنبه إلا كان حقًا على الله أن يغفر له .. ومن كان عليه دين فليقضه .. فإن العبد يرتهن بدينه .. ومن أصبح منكم مهاجرًا أخاه فليلقه فليصلحه .. ولا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .. والذنوب العظيم إنكم أيها المسلمون قد فُجِعتم برجل ما أزعم أنى رأيت عبدًا أبرَّ صدرًا ، ولا أبعد من الغائلة ولا أشد حُبًا ولا أصبح للعامة منه .. فترحموا عليه - رحمه الله - واحضروا الصلاة عليه »^(٢) .

● ولقد كانت وفاة أبي عبيدة وهو ابن ثمان وخمسين سنة بالأردن ، وقبر ببيسان ، وصلى عليه معاذ بن جبل وذلك في سنة ثمانى عشرة من خلافة عمر .

هذا والله أعلى وأعلم ،،،



(١) صور من حياة الصحابة ٩٣ .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٨٧ / ٢٥ .

وأختتم الكتاب بقول ابن الجوزي رحمه الله :

” اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك ،
ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك ،
ولا قدماً تمشى في خدمتك ،
ولا يداً تكتب حديث رسولك ..
فبعزتك لا تدخلني النار فقد علم أهلها أني
كنت أذب عن دينك . اللهم بلغني آمالي من
العلم والعمل وأطل عمري لأبلغ ما أحب من
ذلك “ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد محمد صالح عوض

الإجازة العالية في الحديث الشريف وعلومه

جامعة الأزهر الشريف

مصر - المنصورة - طلخا - بساط

ص.ب : ٣٥٧٩٤

المراجع والمصادر

م	المرجع	المؤلف	الطبعة
١	القرآن الكريم		
٢	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	للقاضى أبى محمد عبد الحق ابن عطية ، ت ٥٤٦هـ	دار الكتب العلمية بيروت
٣	زاد المسير في علم التفسير	للإمام أبى الفرج بن الجوزى، ت ٥٩٧هـ	دار الفكر
٤	في ظلال القرآن	لشهيدي سيد قطب	دار الشروق
٥	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	للمحافظ بن حجر العسقلانى، ت ٨٥٢هـ	الريان
٦	صحيح الإمام مسلم	للإمام مسلم بن الحجاج ، ت ٢٩١هـ	دار إحياء الكتب العربية
٧	الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذى	للإمام عيسى محمد بن سورة ت ٢٢٩هـ . تحقيق الشيخ أحمد شاكر	دار الحديث
٨	السنن الكبرى للإمام النسائى	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى ، ت ٣٠٣هـ	دار الكتب العلمية
٩	مسند الإمام أحمد	للإمام أحمد بن حنبل الشيبانى، ت ٢٤١هـ	مكتبة التراث الإسلامى
١٠	صحيح ابن حبان	للأمر علاء الدين بن بلبان ، ت ٧٣٩هـ	مؤسسة الرسالة
١١	المستدرک على الصحيحين	للمحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابورى ، ت ٤٠٥هـ .	دار المعرفة
١٢	المعجم الكبير للطبرانى	للمحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، ت ٣٦٠هـ تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى	دار إحياء التراث العربى
١٣	سنن ابن ماجه	للمحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزوينى، ت ٢٧٥هـ	

م	المرجع	المؤلف	الطبعة
١٤	سلسلة الأحاديث الصحيحة	للشيخ ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي
١٥	صحيح سنن الترمذی	للشيخ ناصر الدين الألباني	مكتب التربية العربي
١٦	الطبقات الكبرى	لمحمد بن سعد ، ت ٢٣٠هـ	
١٧	الكامل في التاريخ	لابن الأثير الجزري ، ت ٦٣٠هـ	دار الكتب العربية
١٨	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، ت ٤٢٠هـ	مطبعة السعادة
١٩	صفة الصفوة	للإمام أبي الفرج بن الجوزي، ت ٥٩٧هـ	دار الكتب العلمية
٢٠	السيرة الحلبية	على بن برهان الدين الحلبي ، ت ١٠٤٤هـ	دار المعرفة بيروت
٢١	سير أعلام النبلاء	للإمام شمس الدين الذهبي، ت ٧٤٨هـ	بيروت
٢٢	السيرة النبوية	لابن هشام ، تحقيق سهيل زكار	دار الفكر
٢٣	لسان العرب	جمال الدين بن منظور	دار الفكر
٢٤	مختار الصحاح	محمد أبي بكر عبد القادر الرازي	دار المنار
٢٥	مناقب عمر بن الخطاب	للإمام أبي الفرج بن الجوزي ت ٥٩٧هـ	دار العقيدة
٢٦	تهذيب الكمال في أسماء الرجال	للحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزي ، ت ٧٤٢هـ	مؤسسة الرسالة
٢٧	تاريخ دمشق	للإمام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر	دار الفكر
٢٨	أسد الغابة في معرفة الصحابة	لعز الدين بن الأثير ، ت ٦٣٠هـ	دار الفكر
٢٩	الاصابة في تمييز الصحابة ، بهامشه	للحافظ بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ	مكتبة ابن تيمية
٣٠	الاستيعاب لابن عبد البر	بتحقيق دكتور/ طه محمد الزيني	

م	المرجع	المؤلف	الطبعة
٣١	الفتوح	للعلامة محمد بن أبي أحمد بن أعثم، ت ٣١٤هـ	دار الكتب العلمية
٣٢	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	لأبي العباس شمس الدين بن خلكان، ت ٦٨١هـ	دار الثقافة بيروت
٣٣	تاريخ الأمم والملوك	لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ	دار الكتب العلمية
٣٤	البداية والنهاية	للمحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ	مكتبة المعارف بيروت
٣٥	تاريخ الخلفاء	للإمام جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ	دار الجيل
٣٦	كتاب الزهد	للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت ١٤١هـ	دار الريان
٣٧	الرياض النضرة في مناقب العشرة	أبي جعفر أحمد الشهرير بالمحب الطبري، ت ٦٩٤هـ	المكتبة القيمة
٣٨	مجموع الفتاوى	شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ت ٧٢٨هـ	دار الرحمة
٣٩	الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة	للإمام يحيى بن أبي بكر العامري	مكتبة المعارف بيروت
٤٠	عصر الخلافة الراشدة، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين	دكتور/ أكرم ضياء العمرى	مكتبة العلوم والحكم، الرياض
٤١	تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة	دكتور/ أحمد أنخزون	دار طيبة
٤٢	السنة ومنزلتها في القرون الثلاثة الفاضلة	دكتور/ الأحمدي عبد الفتاح خليل	مكتبة كلية أصول الدين، المنصورة
٤٣	تاريخ الدعوة إلى الله في عهد الفاروق عمر	دكتور/ يسرى محمد هانى	دار اليقين
٤٤	حياة الصحابة	محمد بن يوسف الكاند هلوى تحقيق دكتور/ كمال على الجمل	مكتبة الإيمان
٤٥	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث	لفيف من المستشرقين	دار الدعوة، استانبول
٤٦	مفتاح كنوز السنة	نقله للعربية محمد فؤاد عبد الباقي	دار الحديث

م	المراجع	المؤلف	الطبعة
٤٧	الرحيق المختوم	صفى الرحمن المباركفوري	مكتبة الإيمان
٤٨	خلفاء الرسول ﷺ	خالد محمد خالد	دار الفكر
٤٩	رجال حول الرسول ﷺ	خالد محمد خالد	دار الريان
٥٠	صور من حياة الصحابة	دكتور/ عبد الرحمن رأفت الباشا	دار النفائس
٥١	مآثر الصحابة	دكتور/ رشاد دار غوث	دار النفائس
٥٢	فصل الخطاب في إسلام عمر الخطاب	محمد بن العلاوي، أبو حبيب المصري	دار الكتاب العربي
٥٣	العشرة المبشرون بالجنة	عبد المنعم الهاشمي	دار الوفاء
٥٤	مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام	محمد عبد الله عنان	مكتبة الأسرة
٥٥	لن تلقى مثل عمر	لواء/ أحمد كمال الطوبجي	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٥٦	دلائل النبوة	أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت ٤٥٨ هـ	دار العقيدة
٥٧	علو الهمة	محمد أحمد إسماعيل المقدم	مؤسسة المدينة
٥٨	واقعنا المعاصر	محمد قطب	مكتبة السنة
٥٩	العواصم من القواصم	الإمام أبو بكر بن العربي المالكي، ت ٥٢٣ هـ	دار طيبة، الرياض
٦٠	عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام	دكتور/ سليمان بن حمد العودة	مكتبة العلوم والحكم، الرياض ط ٦ / ٩٤
٦١	السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة	دكتور/ أكرم ضياء العمرى	المكتب الإسلامي
٦٢	أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ	دكتور/ على إبراهيم شعوط	

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٩	١ - أبو بكر الصديق
١٠	● اسمه ونسبه
١٠	● صفته
١١	● إسلامه
١٢	● من مناقبه
١٤	● حلمه وتواضعه
١٥	● ورعه
١٥	● زهده
١٦	● خلافته
١٧	● أحداث في خلافته
١٧	١ - انفاذ بعث أسامة
١٨	٢ - قتال أهل الردة
١٩	٣ - جمع القرآن
١٩	٤ - فتح العراق
١٩	● من أقواله وحكمه
٢٠	● مرضه ووفاته
٢٣	٢ - عمر بن الخطاب
٢٤	● اسمه ونسبه
٢٤	● مولده ونشأته
٢٤	● صفته

٢٥	● إسلامه
٢٦	● خلافته
٢٦	● من مناقبه
٢٨	● زهده
٣٠	● ورعه وخوفه من الله
٣٣	● تواضعه
٣٤	● عدله واهتمامه برعيته
٣٩	● حدث في خلافة عمر
٤٠	● أوليات عمر
٤١	● استشهاد عمر
٤٤	● أثر مقتله على المسلمين
٤٥	● من أقواله وكلماته الخالدة
٤٦	● من وصاياه

٣ - عثمان بن عفان

٤٨	● نسبه ومولده
٤٨	● صفته
٤٩	● إسلامه
٥١	● أخلاقه ومناقبه
٥٢	● جوده وسخاؤه
٥٥	● زهده وتواضعه
٥٦	● خلافته
٥٨	● حدث في خلافته
٥٩	● من أقواله
٥٩	● الفتنة الكبرى ، ومقتل عثمان

٤ - علي بن أبي طالب

- ٧٥ ● اسمه ونسبه
- ٧٦ ● صفته
- ٧٦ ● إسلامه
- ٧٨ ● من مناقبه
- ٧٩ ● الفدائي العظيم
- ٨٠ ● زهده
- ٨١ ● ورعه
- ٨١ ● خلافة علي والفتنة الكبرى
- ٨٢ ● موقعة الجمل
- ٨٥ ● موقعة صفين
- ٨٦ ● مقتل الإمام علي
- ٨٧ ● وتبقى كلمة
- ٨٨ ● من أقوال الإمام علي

٥ - طلحة بن عبيد الله

- ٩٢ ● اسمه ونسبه
- ٩٢ ● صفته
- ٩٢ ● إسلامه
- ٩٣ ● من مناقبه
- ٩٤ ● أحد .. ذاك يوم كله لطلحة
- ٩٦ ● شهيد يمشي على الأرض
- ٩٧ ● جوده وسخاؤه
- ٩٨ ● مقتله

٦ - الزبير بن العوام ٩٩

- اسمه ونسبه ١٠٠
- صفته ١٠٠
- إسلامه ١٠٠
- في طليعة المهاجرين إلى الحبشة ١٠١
- من مناقبه ١٠٢
- ورعه ١٠٣
- زهده ١٠٤
- شجاعته ١٠٤
- مقتله ١٠٦

٧ - عبد الرحمن بن عوف ١٠٩

- اسمه ونسبه ١١٠
- صفته ١١٠
- إسلامه ١١٠
- في طليعة المهاجرين ١١١
- من مناقبه ١١٢
- جوده وسخاؤه ١١٣
- سرية دومة الجندل ١١٤
- زهده وورعه ١١٤
- توليه أمر الحج ١١٥
- وفاته ١١٥

٨ - سعد بن أبي وقاص ١١٧

- اسمه ونسبه ١١٨
- صفته ١١٨
- إسلامه ١١٨
- من مناقبه ١١٩
- المجاب الدعوة ١٢٢
- موقعة القادسية ١٢٣
- فتح المدائن ١٢٥
- وداعًا بطل القادسية ١٢٧

٩ - سعيد بن زيد ١٢٩

- اسمه ونسبه ١٣٠
- إسلامه ١٣٢
- من مناقبه ١٣٢
- يوم اليرموك في ذاكرة سعيد ١٣٣
- زهده ١٣٤
- رجل مجاب الدعوة ١٣٤
- وفاته ١٣٥

١٠ - أبو عبيدة بن الجراح ١٣٧

- اسمه ونسبه ١٣٨
- صفته ١٣٨

-
- إسلامه ١٣٨
 - من مناقبه ١٣٩
 - زهده ١٤٠
 - تواضعه ١٤١
 - من مواقفه الخالدة ١٤٢
 - طاعون عمواس ووفاة أبو عبيدة ١٤٥
 - المراجع والمصادر ١٤٩

☆○□○☆

